أرواحٌ عَالِقَة

أميمة ماهر

الكتاب: أرواح عالقة
المؤلف: أميمة ماهر
تصميم الغلاف: محمد عيد
تدقيق لغوي: سارة صلاح
رقم الإيداع: 2013/20685
الترقيم الدولي: 978-977-6447-45-5
الطبعة العاشرة 2016

ليان للنشر والتوزيع

العنوان: 6شارع التحرير بالدقي، بجوار محطة مترو البحوث، الدور 19، شقة رقم2002.

E-mail: layanpub@gmail.coml-layanpub@yahoo.com

الإشراف العام ومدير قسم النشر: فتحي المزين/ 01282288058
مدير التوزيع: منال المزين/ 01270982908

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية
يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

أرواحٌ عَالِقَة

رواية

(فانتازيا)

أميمة ماهــر

ليان للنشر والتوزيع

عصير الكتب

نسخة خاصة لجروب عصير الكتب

عصير الكتب

إهداء

كان إهداء الطبعة الأولى والثانية دعاءً لأمي بطول العمر، وبأن يبارك الله لي فيها، ولكن.. ربما اختار الله لها الأحسن، وفضَّل أن تبقى بجوارِه في جَنَّة الخُلدِ..

رحمك الله يا أمي وجمعني بك قريبًا على خير إن شاء الله.

إلى روح أبي.. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

إلى "ولاء محارم": أمي الثانية وأعز الناس على قلبي

عصير الكتب

الطقس شديد الحرارة، الرطوبة مرتفعة نسبيًا، حرارة الجو كفيلة بأن تشُبّ بسببها أكبر المعارك لأتفه الأسباب، الشوارع هادئة ساكنة، إلا من عواء بعض الكلاب الضالة ومواء قطط تتعارك يوميًّا لسبب غير مفهوم حتى الآن، وذلك الضجيج المنبعث من تلك الشقة في الدور الرابع بهذه العمارة متوسطة الارتفاع..

"يا غادة خلّي الليلة تعدّي على خير"

- يعني أنت سايبني طول اليوم ولما ترجع تتخانق كمان؟!

- والله أنا مش عايز أتخانق.. انتي اللي مش هاين عليكي يعدّي علينا يوم كويس أبدًا.

- "خلاص مابقتش طايقني ياعماد؟ تلاقي مامتك اللي مسلّطاك عليَّ زي عوايدها.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. اللهم طوّلك ياروح.

- آه ما أنت تلاقيك شارب يا عماد. ومش عايز تبوَّظ الدماغ اللي عاملها.

- تاني يا غادة! تاني؟

الساعة الثالثة فجرًا، انطفأت الأنوار أخيرًا واستردّ الليل سكونه ووقاره.. فالكلاب ذهبت إلى حال سبيلها، والقطط من الواضح أنها عقدت جلسة صُلح مؤقّتة على أن تستأنف عراكها في اليوم التالي.. أما من كانوا يسكنون هذه الشقة؛ فكانت هناك مفاجأة تنتظرهم في الصباح..

****

تزوَّج «عماد» و«غادة» مُنذ ثلاث سنوات - عن حُبٍّ- كانت الحياة رائعة بينهما، حتى بدأ الملل يتسلل إلى حياتهما.. كما هو الحال وسط أغلب الزيجات الحديثة.. بالإضافة إلى أنهما فشلا في الإنجاب حتى هذه اللحظة، لكن رغم كل ذلك لم يصل الأمر أبدًا إلى باب المأذون.

بعد المشادة الكلامية التي حدثت بينهما وصلَ كلٌّ منهما إلى قمة غضبه لذلك قرَّر كُلٌ منهما النوم في غرفة منفصلة حتى تهدأ الأحوال. اتجه عماد إلى غرفةالضيوف وهو يتأفف من الوضع ويتمتم بكلمات غاضبة. دخلت غادة غرفتها وهي مستاءة مما حدث ويحدث منذ فترة؛ فهي مستاءة من سُكر عماد، ومن إقامته شِبه الدائمة عند والدته وتغيُّره الملحوظ بعد عودته إلى المنزل.. أو ربّما خُيَّل لها ذلك..

نام كُلٌّ منهما نومًا عميقًا.. نومًا أقرب إلى الغيبوبة.

قبل ميعاد استيقاظ عماد بدقائق، حسب ساعة جسده البيولوجية، جاءت روحه وهي تترنح كالسكارى.. دخلت الغرفة لتدخل جسده كما تفعل كل يوم فيستيقظ كعادته ليبدأ يومه المعتاد، ولكن..!

تلفتت الروح يمينًا ويسارًا باحثة عن الجسد فلم تجده.. تحسست نفسها الهلامية لتمسك طرف الحبل الأثيري الذي كان يربطهما ببعضٍ منذ أن ولِدا معًا لتتبعه، ولكنها لم تجده أيضًا.. لقد كان الرباط ممزقًا عند أطرافه! هي الآن تشعر بالجسد من بعيدٍ رغم أنها لاتراه.. الجسد يريد الاستيقاظ، ولكن لايعلم كيف! فبدون الروح لن يستيقظ.. وهي بدون الجسد لن يكون لها أثرٌ في هذه الدنيا.

حدثَ هرجٌ ومرجٌ خلف باب الشقة الخارجي.. إنهم أصدقاء عماد.. دائمًا يحدثون ضجيجًا غير مُبرَّر.. يفعلون ذلك دون كلل أو ملل صباح كل يوم ليستيقظ رغمًا عنه، فيصطحبوه معهم إلى العمل.

في هذا الوقت بالتحديد ومع انبعاث الضجيج خلف باب المنزل اضطربت روح عماد وتشتَّت فلم تجد إلا جسدًا مستلقيًا على الفراش في غرفة النوم. ربما ظنَّت أنها وجدت ضالتها المنشودة، وربما أرادت الاختباء داخل أيّ جسد والسلام.. فسبحَتْ سريعًا بداخله، وبالرغم من ضيق الجسد وصغره إلا أنها نجحت بالفعل أن تسكنه، وخلال ثوانٍ تأقلمت مع حجم الجسد تمامًا .

عندها استيقظ عماد فورًا!

عتمة الغرفة منعته من رؤية ماحدث بوضوح.. هرول إلى باب الشقة ليفتح لهؤلاء الأوغاد وينهال عليهم بسبابه المعتاد فيضحكون كعادتهم.

وما إن فتح الباب حتى وجد ثلاثتهم يرجعون للخلف فاغرين أفواههم وعلى وجوههم دهشة.. لا بل هي صدمة من هول المفاجأة.. ينظرون له على استحياء فيشيحون بأبصارهم بعيدًا عنه.

"إيه يا ابن الكلب أنت وهو مش هتبطلوا عمايلكم دي"

صاح عماد بهذه الكلمات كالمجنون.. ولكن.. شعر أن صوتًا غريبًا ينبعث من حنجرته.. صوتًا رفيعًا غاضبًا.. وما اندهش له أكثر من صوته هو وجوه أصدقائه التي كانت تحمل معاني كثيرة لم يفهمها وقتها.

"مالكم يا... ياولاد الـ...."

عندما تفوَّه بهذه الألفاظ النابية، ركض ثلاثتهم وهبطوا على درجات السلم دون حتى أن ينتظروا المصعد.

تحسَّس حنجرته بعد رحيلهم، وتركهم لغبائهم وهو يسبُّ ويلعن اليوم الذي عرفهم فيه. دخل إلى الحمَّام دون أن يضيئه.. هذه هي عادته دائمًا كل صباح، فأول ما يفعله دائمًا هو إفراغ مثانته.. يغسل وجهه وأسنانه ثم يستحم.

وقف أمام المرحاض وأراد أن يخلع البنطلون وعندما لم يجده تخيل أنه قد خلعه قبل النوم لحرارة الجو الخانقة طول الليل. قبضَ على ملابسه الداخلية ليخلعها ففوجئ بملمسها الذي يشبه الدانتيل.

لم يبالِ؛ ففي الصباح كل شيء يكون غير منطقيٍ بالنسبة له، حتى يشرع في شرب كوب"النسكافيه" الذي أدمنه منذ سنين ليصبح كل شيء على مايرام بعد آخر رشفة منه.

تحسَّس مابين فخذيه ليبدأ في قضاء حاجته.. فهو لن يقضي باقي اليوم في الحمَّام متعجبًا من عدم وجود بنطال أو تشابُه ملابسه الداخلية مع الملابس الحريمي في ملمسها، ومثانته أيضًا لن تنتظره حتى ينتهي من تعجبه هذا، ولكن.. ليته كان مجرَّد تعجب.. لقد تحوَّل الأمر إلى الصدمة.. أم نقول فضيحة؟!

لقد شعر بالنقص.. شيءٌ ما ليس موجودًا في مكانه الطبيعي.. شيءٌ ما اختفى بل تبخَّر! كيف سيقضي حاجته دون هذا الشيء؟ عُقِد لسانه لثوانٍ.. في هذه الحالة النفسية وليست العضوية فقط، كان من المحال أن يفرغ مثانته.. لعن مثانته وأخبرها أن تذهب إلى الجحيم.. انطلق كالصاروخ إلى زِرّ إضاءة النور ليرى أين ذهب هذا الشيء.. ربما سقطَ منه سهوًا على الأرض.. ضغطَ على زِرّ الإضاءة الذي كان بجوار المرآة المثبتة في جدران الحمَّام حتى لمحَ الشخص الواقف داخل المرآة.. وكانت المفاجأة.. بل كانت الطامة الكبرى.

جسد امرأة بيضاء يعرفها جيّدًا.. ترتدي قميصًا قصيرًا مخصَّصًا للنوم.. يظهر من إطار القميص العلوي نصف ثدي أنثى يُعلن تمرده على كل شيء.. شعرٌ

أسود حريري يتدلى إلى منتصف الظهر.. بقايا أحمر شفاه باهت.. عينٌ منتفخة حمراء اللون بها كحل سائل يدل على بكاءٍ لم يمرّ على انتهائه سوى سويعات قليلة.

غادة!!

غسلَ وجهه بالمياه علّه يفيق.. نظر إلى المرآة، فوجد قطرات الماء تتساقط من وجهها.. ليس ذلك فحسب.. بل تنظر له من المرآة وتحاكيه في كل حركة يقوم بها.. فتحَ فمه على مصراعيه.. فتحت فمها بنفس المقدار.. قام بحكّ عينيه ليراها بوضوح.. حكَّت في نفس الوقت عينيها لتراه بوضوح أيضًا.. مدَّ يده ليتحسَّس غادة داخل المرآة ربما تكون غادة تقف أمامه بالفعل.. أو ربما يكون هناك ثقبٌ في الجدار وهي تقف خلفه.. فمدت يديها أيضًا في تحدٍ سافر لم يسبق له مثيل.

وياللمفاجأة.. اصطدمت يداه بالمرآة.. ظلَّ واقفًا أمامها لدقائق وتذكَّر أصدقاءه وما شاهدوه عندما فتح باب الشقة لهم منذ ثوانٍ.. الآن فقط علِمَ سِرّ اندهاشهم.

"يانهار أسود هما شافوا اللي أنا شايفه ده؟"

تحسَّس حنجرته مرَّةً أخرى عندما ربط بين الشكل والصوت الذي يصدر من حنجرته منذ أن استيقظ..

بدأ يضع احتمالات سريعة للموقف الذي يمرُّ به قبل أن يُصاب بالجنون.

إما أنه لم يستيقظ بعد وكل هذا مجرَّد حُلم، وفي هذه الحالة سيكون كابوسًا.. أو أنّ مايراه نتيجة تعاطيه قرص مخدرٍ أمس هروبًا من حالة الغضب التي كانت تعتريه.. أو أن حالته النفسية هي السبب في كل مايحدث.

هذا كان الاحتمال الأخير الذي وضعه.

كل ما قفز إلى ذهنه في هذه اللحظة أن يبحث عن غادة لتشاركه ماحلَّ عليه من مُصيبة.

ركض إلى الغرفة التي نامت بها غادة أمس، فلم يجدها، ونسي تمامًا أنه خرج من هذه الغرفة منذ قليل بعد استيقاظه.

"هل نزلتْ لتشتري احتياجات المنزل في هذا الوقت؟ هل ذهبت تشتكي لإحدى صديقاتها عن مشكلة أمس؟"

قرَّر أخيرًا ألا يُرهِق ذهنه بهذه الأسئلة التي لن يجد لها إجابةً الآن، وأن يذهب إلى غرفة الضيوف ليدخّن سيجارة ويفكر بهدوء فيما يحدث له.

فتحَ باب الغرفة ليجد جسدًا مُحكم الغطاء يشبه الجثة المُكفّنة. ظنها غادة برغم ضخامة الجسد المسجى على الأريكة، بخطوات بطيئة اقترب من الجسد في محاولةٍ لنزع الغطاء عنه.

رفع الغطاء بهدوءٍ.. فداهمته الصدمة.. وحتى نكون منصفين، دعنا نقول الكارثة.. لقد كان هذا الجسد.. جسده هو!

نعم لقد كان جسد عماد وهذا مالم يخطر بباله أبدًا رغم منطقيته..

فطالما أنه منذ استيقاظه وهو داخل جسد غادة.. فمِن الطبيعي أن يبحث عن جسده هو لا عن جسد غادة.

فركَ عينيه جيّدًا، ثم نظرَ مرَّةً أخرى إلى الجسد المستلقي على الأريكة لعلّه يكون خُيِّل له مايراه.

همسَ قائلًا: "طب ازاي وإمتى وليه؟ "

أسئلة منطقية، ولكن هل سيجد لها إجابة؟؟ كان ينطق الكلمات بالكاد وكأنه مريض تمَّ تخديره للتوّ وبدأ المخدِّر يقوم بوظيفته وينتشر في الجسد استعدادًا للعملية الجراحية.

ترنَّح جسده وكاد أن يهوى على الأرض من فرط الصدمة، إلا أنه تمالك نفسه وجلسَ على الكرسي المواجه للأريكة..

بعد دقائق من استرداد وعيه الذي كاد أن يفقده تمامًا فكَّر سريعًا ماذا سيفعل.. ثم فاجأته أسئلةٌ غريبة..

"هل هذه غادة أم أن هناك شخصٌ آخر داخل جسده؟"

"لو كانت هي غادة ، فهل تعلم بماحدث؟"

"لو أنها لم تعلم بعد ماذا سيكون ردّ فعلها عندما تستيقظ؟"

تردَّد في إيقاظها في هذا الوضع، فقد تُصاب بانهيارٍ عصبي أو ربما سكتة قلبية تموت على إثرها.

أحضر"إيشاربًا" خاصًا بها يصلح أن يكون عصابة للعين.. لفّها بهدوءٍ على عين غادة أولنقُل على عين الجسد المُسجى أمامه.

في نفس اللحظة جاءت روح غادة هائمة وحدثَ معها ماحدث مع روح عماد، ولكنها دخلت مستسلمة للجسد الضخم الرابض على الأريكة، لأنها وجدت الجسد الذي اعتادت الدخول فيه مشغولًا بروحٍ أخرى. فسبحَتْ داخل هذا الجسد قبل أن ينشغل هو الآخر، فلا تجد أجسادًا فارغة وتظل معلّقة في الهواء أو كما يقولون في المثل الشعبي"لن تطول بلح الشام أو عنب اليمن" لذلك لم تتردد الروح كثيرًا في قراردخولها هذا الجسد.. ثم!

استيقظت غادة فورًا !!

"إيه ده؟ تحسَّسَت عصابة عينها في تعجُّب قائلة: هو في إيه؟

"غادة عايزك تركزي شوية معايا الله يخليكي" أوشك عماد أن يفقد أعصابه مما يحدث، ولكنه تماسك بكل ما أوتيَ من قوة.

"مين بيكلمني؟ انتي مين؟"

كانت مرتبكة جدًا وهي تُجيب على من تتحدث معها، حتى إنها لم تنتبه لتغيُّر صوتها وتحوُّله إلى صوتٍ خشن.

سألها بتوتر ملحوظ أوشك معه أن يفقد ما تبقى له من قوة وأعصاب:

- هو انتي غادة وألا مين؟

- انتي بتهزري على الصبح ولا إيه؟ أومال هكون مين يعني؟

وفي هذه اللحظة، ومع هذه الجملة بدأت تشعر أن صوتها على غير عادته..

"إحم إحم، صوتي ماله؟" تنحنحت وبدأت تلقائيًا في إزالة عصابة عينها.

ارتاح عماد لإجابتها بعض الشيء، فكونها غادة تُعتبر مُصيبة أقل من مصيبة أن يكون أحدٌ آخر هو من سكنَ جسده.

- والله مش بهرج ياغادة.. طب اهدي بس ياحبيبتي.

أجابها وهو يحاول منعها من إزالة الإيشارب ولو مؤقتًا.

"ياعماااااااااد"

ظلت تصرخ وهي تنادي على زوجها لينجدها من هذا الموقف ومن هذه المجنونة التي تتحدث معها.

حاول تهدئتها قائلًا:

- ياحبيبتي، أنا عماد جوزك والله.

ثم استكمل حديثه سريعًا ولم يعطِ لها فرصة الرد:

- غادة أنا هقولك على طول من غير لف ولا دوران، واضح كده إن في حاجة غلط حصلت في أرواحنا.

ثم استطرد قائلًا بصوتٍ مُنخفض، خجول، خائف: و اضح إن روحك اتلخبطت ودخلت جسمي وروحي اتلخبطت ودخلت جسمك.

ضحكة رقيعة ناعسة صدرت من حنجرة قوية خشنة.. أصدرتْها بسبب ما ظنته مُزاحًا من إحدى صديقاتها. وبدأت تزيح العصابة من عينيها في إصرارٍ هذه المرَّة متوقعة أنها ستجد إحدى صديقاتها أمامها.

"والله يا غادة ده اللي حصل"

قالها في نفس اللحظة التي نجحت فيها غادة في فك العصابة أخيرًا... نظرتْ إلى جسدها سريعًا قبل أن تنظر له..

ترتدي بيجامة رجالي نصفها يختبئ داخل البنطلون، والنصف الآخر يتدلى منه، جسدها أصبح ضخمًا، وضعت يديها على رأسها، فوجدته حليقًا تمامًا، فهذا النوع من الحلاقة يفضله عماد عن غيره من الحلاقات.

انتفضت من على الأريكة التي كان ينام عليها، ونظرت إليه أو لنقُل نظرت إلى جسدها الواقف أمامها، ثم أصدرت صرخة عالية مدوية هزَّت جدران الغرفة.. وسقطت على الأرض مغشيًا عليها.

صبَّ على وجهها كوبًا كاملًا من الماء، فانتفضت من إغماءتها لتنظر حولها بنظرات شاردة تحاول إدراك مايحدث.. وجدت جسدها أمامها بصورة مشوشة وكأنها تشاهد حُلمًا أو مرآة مغطاه ببخار ماء .. ظل يتحدث بكلمات ارتسمت على شفاهه ولكنها لم تسمعها وكأنها أصيبت بالصمم.

ضمها في حضنه ليُطمئنها أنها بخير، استسلمتْ له، كانت في أشدّ الحاجة لهذا الحضن.. لسببين، أولهما: ما حدث بينهما أمس من مشادة وبكائها المتواصل قبل النوم. ثانيهما: ما يمران به الآن من موقف غريب مريب وحده الله يعلم متى سيخرجان منه. احتضنها بقوة، بل اعتصرها.. ولكن!

شعرت غادة بشيءٍ يعيق وجهها وهي في حضنه. نظرت إلى مايعيقها، فوجدت ثديين مكورين بارزين.. في البداية ابتسمت ابتسامة صغيرة بدأت تتسع حتى تحول الأمر إلى نوبة ضحك هستيرية مختلطة ببكاءٍ شديد. نُقِلت إليه عدوى الضحك رغم الكارثة التي يمرون بها.

انقطع الضحك فجأة، ومرت دقائق في سكونٍ.. صمت.. ربما تفكير..

ماذا يحدث الآن؟ لماذا حدثَ؟ كيف حدثَ؟ كانت كلها مجرَّد أسئلة بديهية تمرُّ بذهنيهما دون اتفاق مسبق.

مرَّت ساعة تقريبًا في جِدالٍ ونقاشٍ غريبٍ بينهما. اتفقا بعده على تقبُّل الأمر ولو مبدئيًا.

بدأت غادة تتفهم الأمر رويدًا، وقررت أن تواجه هذه المشكلة بدلًا من الاستسلام.

نظرَ عماد إلى الساعة المتدلية من حائط الغرفة تُنذر بكارثة قريبة.. فصرخ في وجهها: الشغل .. اتأخرت على الشغل.

هرول إلى غرفة النوم.. فتح الدولاب لينتقي منه قميصًا وبنطلونًا ليرتديهما سريعًا.

وما إن نزلت خصلة طويلة من شعره على جبينه حتى خبط رأسه بكف يده متذكرًا أنه لن يستطيع الذهاب إلى عمله بجسد غادة.. لابد لحلٍ فوريّ لهذه المشكلة.

التفت إلى باب الغرفة، فوجدها تستند عليه بظهرها الضخم الرجولي.. نظرت إليه مبتسمة وكأنها تريد أن تخبره بما يدور في رأسه.

ابتسم لها قبل أن يطلب منها بأدبٍ يميل إلى الترجي أن تتصل بمديره وتستأذن منه في التأخُّر قليلًا اليوم، أو عدم الذهاب أصلًا لأنه مريض، أو تختلق أي سبب.

رفضتْ طلبه بدلع حاولت أن يكون أنثويًا، ولكن حنجرتها وجسدها منعاها من ذلك، ثم ذكرّته بما فعله بها أمس.

اشتاط غيظًا، فهذا ليس وقتًا يصلح للدلال أو المزاح أو حتى العتاب نهائيًا. هو فعلًا يواجه مشكلة حقيقية وهي لاتشعر به، كما أنه لن يستطيع الاتصال بمديره بصوت أنثوي.

فكَّر سريعًا، ثم طلب مديره هاتفيًا وأخبره أنه زوجة عماد!

- ألو، أيوة يافندم مع حضرتك مدام عماد.

- أهلًا وسهلًا يامدام، خير في حاجة، طمنيني.

- الحقيقة يافندم عماد تعبان شوية وحرارته مرتفعة جدًّا، وحتى مش في وعيه عشان يكلمك، حبيت أبلغك إنه مش هيقدر ييجي النهارده.

- لأ ألف سلامة عليه يامدام. طب فيه أي حاجة أقدر أقوم بيها؟

- شكرًا يافندم، لو احتجت أي حاجة أكيد هتصل بيك.

تقبَّل المدير الوضع بسلاسة، بالرغم من ديكتاتوريته، هو لا يرحّب إطلاقًا بفكرة التأخير ولو لدقائق عن العمل؛ فما بالك بعدم الحضور أصلًا، ولكن بما أنها المرة الأولى لعماد الذي كان ملتزمًا جدًّا في عمله ومنضبطًا في مواعيده بالإضافة إلى كونه الأقرب إلى قلب المدير دون باقي الموظفين؛ فقد مرّ الموضوع بسلام.

أغلق الهاتف ليجدها قد أصيبت بنوبة ضحك مفاجئ، حاول أن يتمالك نفسه من الغضب حتى توافق على أي شيء يطلبه منها بعد ذلك، فهي أصبحت المالك الجديد لجسده الآن.

جزَّ على أسنانه وأخذها برفق من يديها وأجلسها على السرير، جلس هو أرضًا على ركبيته في مواجهتها، بعد أن رفع شعره الطويل بحركة لا إرادية بسبب حرارة الجو، قبض على كفها الكبير بيديه الناعمتين وبدأ في تمهيد الطريق لما سيطلبه بعد قليل.

- حبيبتي انتي طبعًا شايفة الوضع اللي احنا فيه، وأكيد احنا مش عارفين هنفضل لحد امتى بالشكل ده.

- هو احنا ممكن نفضل كده كتير، أكيد لو نمنا تاني الأرواح هترجع لأماكنها الطبيعية ياعماد.

قالت هذه الجملة وظهر على وجهها رعبٌ حقيقي من فكرة استحالة استرداد جسدها.

- لا ياحبيبتي إن شاء الله كل حاجة هترجع زي ماكانت، بس لحد ما كل حاجة ترجع لازم نفكر هنعمل إيه، يعني مثلًا أنا مش هقدر أروح شغلي بجسمك؟

- أيوة صح، بس أنت عايز تقول إيه ياعماد؟

- عايز أقول إنك لازم تساعدي جوزك حبيبك.

- ياسلام دلوقتى بقيت جوزي حبيبي؟

بالرغم من عتابها غير المباشر بهذه الجملة إلا أن ملامح وجهها فضحت ما كانت تعنيه بالفعل.

- أرجوكي ياحبيبتي لازم ننسى كل حاجة دلوقتي ونفكر هنتعايش ازاي مع المشكلة دي لحد ما تتحل، انتي لازم تروحي مكاني الشغل وتتعاملي وكأنك أنا، وإلا أترفد من الشغل.

بدا القلق على وجهها وهو ما أسعده كثيرًا؛ فمهما كانت المشاكل أو الملل الذي أصاب حياتهما، إلا أنها لن تحتمل فكرة أن يؤذى زوجها في عمله طالما أنها تستطيع مساعدته.

أومأت بالموافقة وهي تبتسم.

أخذ نفسًا عميقًا، فمجرد موافقتها على ذلك جعله يطمئن نفسيًّا، وبدأ يستعد لكيفية توصيل كل المعلومات لها عن حياته خارج المنزل؛ فبالرغم من أنها زوجته، إلا أن حياة الرجل خارج البيت تختلف كثيرًا.

ظلَّ طوال اليوم يشرح لها طبيعة عمله.. أسماء زملائه بالعمل.. أسماء المقربين لقلبه.. أسماء أعدائه وأعداء نجاحه.. إذا احتاجت لمساعدة تطلب مِن مَن. وطبعًا لم ينسَ أن يذكِّرها بمواعيد طلب إفطاره ومشروباته.. يطلب نسكافيه بمجرَّد أن يصل إلى العمل، ثم الإفطار الساعة الحادية عشر، ويطلب نسكافيه مرَّة أخرى بعد الإفطار مباشرة وكل ساعة يشرب واحدًا إلى أن ينتهي العمل. ظلَّ يتجول في الشقة وهو يردد على مسامعها كل شيء وهي تردد خلفه مايقوله. كان يومًا أشبه بليلة امتحانٍ لطالب في الثانوية العامة.

لم ينسَ أيضًا أن يخبرها بغرفة "الجنس الناعم" كما يطلقون عليها في العمل، وهي مخصصة لزميلاته في العمل، لا يدخل فيها مطلقًا إلا للضرورة أو حاجة العمل لذلك هو عمومًا لا يُحب الاختلاط بالنساء كثيرًا عكس باقي زملائه الذين ينتهزون كل فرصة للدخول إلى هذه الغرفة، كانت تسمعه بإنصاتٍ شديدٍ، ولكن عندما ذكرَ آخر توصية عن غرفة زميلاته لم تتمالك نفسها إلا وهي تحضنه بجسدها الضخم مفتول العضلات وهي سعيدةٌ بما قاله وفخورةٌ به، ثم سألته وكيد النساء يقفز من عينيها باستفزاز:

- طيب وبتشرب كام سيجارة؟

- سجاير؟ ليه انتي هتشربي سجاير ولا إيه؟

- أنت اللي هتشرب مش أنا.

- غادة، مافيش هزار في الحاجات دي اعتبري إني بطلت من النهارده.

- يعني أنت عايز تفهمني إنك مش هتدخن تاني؟

- لا هدخن طبعًا.

- اشمعنى بقى؟

- غادة أرجوكي ياحبيبتي بلاش تنرفزيني.

-ماهو احنا مش عايزين حد ياخد باله.

-اعتبري نفسك أول يوم تبطلي فيه سجاير النهارده وعرفيهم كلهم كده.

قالت بلؤمٍ وخبثٍ نسائي:

- فاكر ياعماد لما طلبت منك أجرَّب سيجارة وأنت رفضت؟

- ولحد دلوقتي رافض يا غادة، ومش هقبل أي هزار في الموضوع ده.

ردت بـ "حاضر" و ابتسامة صفراء تنمُّ عن رفضها التام لأوامره وعن نية مبيتة لتمردها عليه.

انتهى اليوم بسلام بعد أن تعلمت أشياءً كثيرة عن عمله وعن المحيطين به استعدادًا لاستقبال يوم شاق غدًا.

دعَتْ الله كثيرًا قبل النوم أن ترجع الأرواح بسلام إلى جسديهما قبل الصباح، وألا تمرّ بمثل هذه التجربة؛ فهي لاتخرج من البيت إلا للضرورة القصوى، كما أنها خجولة في التعامل مع الرجال، وكل من ستتعامل معهم غدًا رجال.

استيقظتْ قلقًا أكثر من مرَّة خلال الليل لتجد عماد نائمًا في سُباتٍ عميق غير عابئ بغدٍ وما سيحدث فيه.. رمقته بنظرة الحقد وظلت تتقلب في الفراش حتى الصباح.

استقبلت النهار وهي مازالت في حالة قلق كبيرة. تحسَّسَت بهدوءٍ حذِر جسدها، ربما تكون الأرواح عادت إلى أماكنها الطبيعية، ولكن!

وجدت الوضع كما كان أمس. ازدادت دقات قلبها فلا محالة أن تستقبل يومًا غريبًا طالما أنها مازالت بجسد عماد.. أما هو فقد استيقظ في كسلٍ وكأن جسده يعلم مسبقًا أن اليوم سيكون إجازة، بل ربما اليوم وكل يوم .

ساعدها في اختيار ملابسها وارتدائها، لاحظ توترها وهو يودّعها عند الباب بعد أن كتب لها عنوان الشركة بالتفصيل في ورقة، وبعض الملاحظات.

تحدَّث إليها قائلًا:

- ماتنسيش الكلام اللي قُلت لك عليه ولو في أي حاجة كلميني.

- أوكي، ربنا يستر، أنت كمان ماتعكِّش في الأكل، أكيد شايف المانيكان اللي أنت جواه.

لم تنسَ طبعًا أن تقايضه كأي أنثى تنتهز هذه الفرصة، فاشترطت عليه طهي الطعام وترتيب المنزل وانتظارها حتى تأتي.

وافق على الفور دون تفكير، بل لم يكن أمامه خيارٌ آخر غير الموافقة.

أصبح الوضع لا يحتمل التفكير.

واضح أن الانتقام سيكون سيد الموقف بينهما.

منحها ابتسامة صفراء محدّثًا نفسه داخليًا "فعلًا اللي يقدِّم السبت يلاقي الحد"
مرَّت أمامه في طرقة العمارة لتستقل المصعد، وجدها تتمايل في مشيتها بجسده الضخم وكأنها شابٌ شاذ يعرض جسده على الرجال، وما إن رأى عماد هذا المشهد حتى صرخ من خلفها:

- انتي هتمشي كده ياهانم في الشارع؟ انتي عايزة الناس يقولوا عليا(...)
- حاضر يا عماد هظبط مشيتي ماتقلقش، نسيت إني جوة جسمك معلش .
- إوعي تاكلي لبانة في الشغل وتفرقعيها زي مابتعملي.

فلتت من فمها ضحكة، على مايبدو أنها ضحكة شماتة بعد أن وضعت يديها على فمها لتكتمها.

فتحتْ باب المصعد و انتظرت أن يأتي ويطبع قُبلةً على خدها، لكنه لم يفعل.. شعرت بخيبة أمل، ربما كان ذلك شعوره كل يوم.. عدم اهتمام.. جفاء.

ولكنها الآن تريد أن تشعر بالأمان قبل أن تذهب إلى العمل.. فتقدمت إليه وانحنت كثيرًا حتى تستطيع أن تطبع قُبلة خاطفة على شعره الغزير وهو أقصى ما استطاعت الوصول إليه بجسدها الضخم، ثم... !

رحلتْ.

وقف ثواني داخل جسده الأنثوي المثير بعد أن سرت قشعريرة سريعة في أنحاء جسده.. كان ممتنًا من هذه القُبلة جدًّا، بالرغم أنها مجرَّد قُبلة إلا أنه شعرَ بارتفاع معنوياته إلى عنان السماء.

أغلق باب الشقة بعد أن اطمأن على رحيلها.

جلس على كرسي قريب من باب الشقة يتأمل ما حدث ويفكر فيما سيحدث، وبينما هو كذلك سقطت خصلة من شَعر غادة الذي أصبح مِلكه الآن على عينيه فرفعها.. لحظات وسقطت مرَّة أخرى.. فرفعها بغيظٍ هذه المرة، لم تُبالِ الخصلة ونزلت مرَّة ثالثة وكأنها تتعمد غيظه. ذهبَ إلى درج المطبخ واستخرج المقص وقصَّ الخصلة بعنف من نصفها .

بهدوءٍ شديدٍ، غير عابئ بنصف الخصلة الحزينة التي تبكي على الأرض لفراق نصفها الآخر.. بدأ يفكر كيف سيبدأ شغل البيت، الطهي أم التنظيف أم الغسيل؟ نهض من على الكرسي وكأنه قرَّر ماسيفعله جيّدًا.. اتجه إلى غرفة النوم ورفع الغطاء عن السرير، ثم قفز لأعلى ليغوص بجسده الضئيل في منتصف السرير، شدَّ الغطاء على جسده وراح في النوم.

****

عصير الكتب

دخلتْ غادة مكتب عماد وهي تشير بيديها في خجلٍ، قاصدة التحيّة لكل مَن تمرُّ بجواره؛ فتارة تجد وجوهًا مبتسمة تردُّ لها التحيَّة، وتارة أخرى تجد وجوهًا عابسة ممتعضة.

أخرجت الورقة في الخفاء دون أن يلاحظ أحدٌ لترى الخريطة التي رسمها عماد لموقع مكتبه.

اتجهت ناحيته في حذرٍ وهدوءٍ، وما إن جلست حتى تفاجأت بثلاثة رجال يلتفون حولها مبتسمين.

صدرَ عنها رد فعل أنثوي بحت وهي تشيح بنظرها عنهم في لا مبالاة، وكأنهم شباب يعاكسون فتاة في الطريق العام، وكل ما كان ينقصها في هذا الموقف أن تقول لهم "يا سم كده" ولكنها لم تَقُلها لسبب لا يعلمه أحدٌ سواها.

وبالرغم من حرصها على ألا تسبب لزوجها أي مشكلة بالشغل إلا أن موقف الشباب الذين التفوا حولها أقلقها كثيرًا.. أو ربما تخيلت أنها تفعل ما يمليه عليها ضميرها وأخلاقها وإخلاصها لزوجها.. بل لو تطلَّب الأمر أن تصفعهم على وجوههم وتجمع الناس حولهم لتخبرهم بقلة حياء هؤلاء الشباب، ستفعل.

استغرب الشباب من ردة فعل عماد وأنه لايريد النظر إليهم حتى، ولكنهم ظنوا أنه مستاء مما فعلته زوجته بالأمس، ولكن.. !

ردة فعله لم تمنعهم من إصرارهم على الالتفاف حوله لمحاولة فَهم ماحدثَ أمس أمام باب الشقة، ولكنها لم تفهم أي شيء إلا حين بدأ أحدهم بالحديث:

- إيه ياعمدة اللي حصل إمبارح ده؟ كده برضو تخلي مراتك تفتح لنا الباب؟ أنت كنت فين ياعم؟

نظرَتْ لهم مندهشة وهي ترفع حاجبها لأعلى قائلة:

عصير الكتب

- مين اللي فتح لكم الباب؟

ثم استطردت قائلة: يالهوى ازاي الكلام ده هو فتح لكم امبارح؟

قالتها غادة بعفوية وهي مصدومة من كلام هذا الشاب.

- هو مين؟ بقولّك مراتك اللي فتحت الباب.

تداركتْ الأمر سريعًا وبدأت تستوعب مايحدث، فحاولت أن تستدرجهم في الكلام أكثر بعفوية شديدة مختلطة ببعض الغباء الأنثوي، والذي قد تعتبره بعض النساء ذكاء:

- وإيه رأيكم فيها؟

- رأينا فيها ازاي يعني؟

قالها أحدهم والاستغراب يحتل كامل وجهه، ولكن سؤال عماد شجعه على تكملة الحديث فقال:

- كانت لابسة قميص نو...

ثم غيَّر الكلام سريعًا: وبعدين هي إيه الألفاظ اللي بتقولها مراتك دي ياعمدة؟ أومال إيه الأشعار اللي بتقولها فيها دي؟

ضحكَ المتحدِّث وضحك أصدقاؤه أيضًا.

- بجد؟؟ عماد بيقول فيَّ أنا أشعار؟؟

أجابته بلهفة الأطفال ولمعة عيونهم عند الفرحة.

نظر الأصدقاء إلى بعضهم باستغراب، ثم قال أحدهم:

- عماد، أنت شارب إيه قبل ما تنزل احنا عارفين إن مالكش في الشُرب.. بس أنت مش طبيعي ياعماد بجد.

عصير الكتب

- أنت عايز تفهّمني إن أنا لما بخرج معاكم ونسهر مش بشرب خالص؟

صُدم الصديق من سؤال عماد أو من كان يظنه عماد، ولكنه قرَّر أن يجاوب عليه على مضض:

- عمرك يا ابني ماشربت ده احنا بنتحايل عليك عشان بس تجرب. مالك ياعماد في إيه؟ مش بقولك أنت فيك حاجة غريبة! ولايمكن سخونية امبارح هي اللي أثّرت عليك؟

ولم ينتظر إجابته حتى قال سريعًا قبل أن يتلقى أي عتاب: على فكرة كلمناك كتير بس تليفونك كان مقفول، وألف سلامة عليك ياعمدة.

بالرغم من الفرحة العارمة التي انتابتها وأساريرها التي تهللت بعد حديث صديق عماد، إلا أنها شعرت بغصة في قلبها. شعرت بتأنيب ضمير لا يُحتمَل؛ فقد كانت دائمة النكد في المنزل بسب شكوكها حول زوجها وحول سهراته مع أصدقائه ويقينها أنه يسكر معهم.

قامت حزينة بعد استئذانها منهم لأنها لم تدخل الحمَّام مُنذ أمس بسبب صدمتها مما حدث لها هي وعماد. اتجهت لا إراديًّا إلى حمَّام السيدات بعد أن بحثت عنه في طرقات الشركة حتى وجدته، فاستوقفتها العاملة التي تجلس على الباب:

- إيه يا أستاذ عماد سلامة النظر.

- إيه عايز أدخل الحمَّام، بقى ممنوع ولا إيه؟

- مش ممنوع ولا حاجة بس حضرتك داخل حمَّام السيدات.

ارتبكتْ جدًّا وتعرق جبينها، ورحلت بعد أن همهمت بكلامٍ غير مفهوم اعتبرته العاملة أنه اعتذار.

ذهبت إلى حمَّام الرجال وظلت مترددة على الباب لا تعلم كيف ستدخل وماذا ستجد بالداخل؛ فهي لأول مرَّة تدخل حمَّامًا مكتوبًا عليه من الخارج"for men"

ولكن مثانتها التي كانت تستغيث وهي تترجاها، جعلتها لا تطيق الانتظار أكثر من ذلك؛ فقررت الدخول وليحدث ما يحدث.

عندما دخلت وجدت ثلاثة حمامات مفتوحة الأبواب، وجميعها خاوية، ومبولتين لايقف أمامهما أحد، فتنفست الصعداء. هرولت إلى أحد الحمامات وهي تتلفت يمينًا ويسارًا وكأنها ستقوم بفعلٍ مشين. أغلقت الباب خلفها بإحكام، وخلعت البنطلون سريعًا لتجد أشياءً غريبة تنتظرها داخل البنطلون.. أشياءٌ تعرفها جيّدًا فهي متزوجة وبالطبع تعرف هذه الأشياء، ولكنها لأول مرَّة تشعر بإحساس امتلاكها لهذه الأشياء؛ فهي من يوم حادثة تبادل الأرواح لم تدخل إلى الحمَّام مطلقًا. كما أن عماد لم يخبرها عن هذا الأمر شيئًا. أخرجت ما كان ينتظرها بداخل البنطلون بشكلٍ كوميديّ، ثم وقفت قليلًا وسألت نفسها هامسة: همَّ بيقعدوا ولا بيقفوا؟

بعد أسئلة كثيرة وبعد استغاثة مثانتها خوفًا من الانفجار المفاجئ اضطرت أن تجلس وتقضي حاجتها كما تفعل دائمًا.. كان الشعور غريبًا عليها بعض الشيء. انتهت من قضاء حاجتها الغريبة هذه، وفتحت باب الحمَّام لتفاجأ بأنَّ هناك شخصًا يقف أمام المبولة يقضي حاجته هو الآخر فأشاحت بوجهها في الاتجاه الآخر وهرولت إلى الخارج.. صاحب ذلك علامات استغراب على وجه الشاب قائلًا: إيه ياعمدة أنت بتتكسف ها ها ها.

جلست على مكتبها وأمامها جهاز الكمبيوتر الخاص بعماد.. أوراق، مستندات، فواتير، دوسيه مفتوح مطلوب مراجعته واعتماده،

يالله كيف ستنجز كل هذا الشغل المسند إليها؟

ولكن ما شغل بالها أكثر هو أن عماد كان ينجز كل هذا العمل ثم يعود إلى المنزل لتستقبله بوصلات النكد اليومية.

"سامحني ياعماد ياحبيبي" قالتها هامسة بأسى حتى لايسمعها أحد.

قاطع شرودها صوت سعال رجل.. التفتت إليه.. رجل ذو كرش ضخم، كان يقف بجوارها يراقب تصرفاتها دون أن تنتبه.

فهذه إحدى عاداته السيئة التي يختنق منها جميع الموظفين.. فإحساس أنك مراقَب دائمًا سواء من بعيد أو على غفلة -كما فعل مع غادة التي كان يظنها عماد-، هو أمرٌ سخيف ويسبِّب توترًا لا إراديّ، ولكنها لم تبالِ أصلًا، وسألتْه بجرأة:

- حضرتك عايز مساعدة؟ قالتها وكأنها تقصد طرده بشكلٍ مهذَّب.

بعد وصلة سعال أخرى قال:

- ألف سلامة عليك ياعماد مش كان المفروض تطمني إنك جيت؟ عايزك تخلّص شغلك وتجيلي على المكتب.

- مش تعرّفني الأول بنفسك.

قالتها وهي تمطّ شفتيها بامتعاض.

- عماد في إيه احنا هنهرّج؟ خلص اللي طلبته منك وتعالى المكتب.

انتفضت من مكانها وهي تضرب صدرها بكف يديها هلعًا من صوته الجهوري وهو يصيح، ثم حشرت رأسها تحت المكتب واتصلت بعماد لكي ينجدها من هذه الورطة، فاليوم مازال في أوله وواضح أنه سيكون طويلًا.

أخذ الهاتف يرن طويلًا..

"أوف بتعمل إيه بس ياعماد، رد أرجوك رد.. رد ".. ثم استطردت قائلة: أكيد بينشر الغسيل ومش سامع التليفون خلاص أتصرف أنا بقى وربنا يستر.

أشارت بيدها لأحد أصدقاء عماد وهو ضمن من التفوا حولها منذ قليل، ومن ضمن أيضًا من يأتون كل صباحٍ إليه، فأتى إليها مسرعًا:

- مالك يانجم. المدير كان عايزك في إيه؟

-"مدير؟ يانهار أسود" تحدّثت بها سِرًّا خوفًا من أن يُفتضح أمرها، ثم أجابته:

- مش عارف هو بيقول إنه طلب منّي حاجة وعايزني أخلصها وأدخَّلها.

- طب ماتخلصها وتدخلها إيه المشكلة؟

- المشكلة إني إمبارح لما سخنت، أخدت دواء غريب خلاني أنسى حاجات كتير، ممكن تساعدني عشان خاطري؟

قالت الكلمة الأخيرة بشِبه غنج. كانت الكلمات تنم عن خروجها من فمٍ أنثوي بحت، فكانت تتحدث بتوسل مصاحب بدلالٍ وكأنها تطلب الطلب من عماد نفسه عندما يرفض لها أي طلب؛ فهي اعتادت أن تستخدم هذه الطريقة كثيرًا مع عماد، وكانت تأتي بثمارها دائمًا، ولكن واضح أنها لم تفرّق بين زوجها وصديقه.

استغرب صديق عماد جدًّا لطريقته التي لم يعهدها عليه ثم قال:

- هات ياعماد أنا هخلصلك الحاجات بسرعة وأنت تبقى تدخل بيها، أنت ياما اشتغلت مكاني.

- ميرسي أوي أوي مش عارف أقولك إيه بجد.

لم يتحمَّل الصديق ما يفعله عماد أكثر من ذلك، وخرج عن صمته قائلًا:

- عشان خاطري وميرسي أوي أوي؟ إيه يا ابني المياصة اللي أنت بتتكلم بيها دي؟ أنت كده هتغريني الله يحرقك وأنا عندي استعداد للانحراف أصلًا.

ذهبَ صديق عماد لينهي ما وعدَ به عماد أن ينهيه. أما هي، فقامت في جولة اسكشافية حول المكان، فالفضول يقتل غادة دائمًا وأبدًا.

دخلت غرفة فوجدت بها جميلات يجلسن على مكاتبهن فشعرت براحة، حدَّثت نفسها داخليًا: أخيرًا لقيت ستات في المكان.. ياساتر."

التفت أغلبهن إلى باب الغرفة ليجدن عماد يستند بظهره إلى الباب قائلًا:

- صباح الخير يابنات بتعملوا إيه؟

- بنشتغل يا أ/عماد هنكون بنعمل إيه يعني؟

تبادلن النظرات فيما بينهن في استغرابٍ شديدٍ، فنادرًا مايدخل عماد هذه الغرفة، وإذا دخل لا ترتفع عيناه عن مستوى الأرض حتى ينجز مهمته ويخرج فورًا.

نسيتْ غادة، أو ربما تناست ما قاله عماد وقالت بعفوية:

- طيب ماتسيبكم من الشغل ده شوية وتعالوا ندردش مع بعض؟

قالت هذه الجملة بعد أن جلست فوق مكتبٍ خالٍ.

- ندردش؟؟

قُلنَها باندهاش لايوصف.. وحضرتك عايز تدردش في إيه؟

- أي حاجة، وصفات نعومة البشرة، ووصفات تنعيم الشعر عشان مايقعش.. عارفين أنا شعري كان ابتدى يقع منه شوية بس عملت وصفة حلوة أوي وجابت نتيجة هايلة.

هنا فقط.. علت الضحكات الأنثوية داخل الغرفة؛ فهو أصلًا يحلق شعره على "الزيرو" دائمًا، لكن واضح أنهن اعتبرنها مزحة منه للتودد إليهن، بل كانت بالنسبة لأخريات فرصة ذهبية لمعرفة هذا "الرجل الغامض بسلامته" الذي لا تعرفهن الكثيرات داخل العمل. التفَّ جميعهن حوله ليعرفنه وليعرفن بفضول بدا عليهن، هذه الوصفات.

****

كان عماد يتقلب كالسمكة المشوية فوق الفراش من الألم؛ فقد داهمه ألمٌ غريب منذ قليل، نهض على أثره من النوم، وظلَّ يتردد على الحمَّام ذهابًا وإيابًا يظن أن مثانته مملتئة، ولكن كلما دخل الحمَّام لإفراغها يجدها فارغة بالفعل، فيعود مرَّة أخرى إلى الفراش بخيبه أمل. ظلَّ يكرِّر هذا الأمر أكثر من مرَّة، حتى سمع دقات جرس الباب. توجَّه ناحية الباب ليفتحه، فوجد جارتهم تقف أمامه مبتسمة:

- صباح الفل والورد.

- أهلًا يا مدام سامية إزي حضرتك؟

ضحكت ضحكة رقيعة وقالت:

- مدام سامية وحضرتك كمان؟ والله ضحكتيني ياغادة.

تدارك الخطأ سريعًا عندما سمع اسم غادة، وابتسم وكأنه قصدَ المزاح.

- ألاقي عندك ليمونة والنبي، معلش مانزلتش النهارده السوق ومحتاجة ليمونة واحدة.

- والله أنا مش عارف غادة بتحط الليمون فين، لما تيجي هخليها تبعتلك اللي انتي عايزاه.

رمقتْه الجارة بنظرة غاضبة ورحلت بعد أن اعتبرت ردّ غادة أو من ظنته غادة رفضًا لطلبها. شعرت بإهانة فتركتها فورًا وعادت إلى شقتها وهي في قمة الغضب تقسم بأغلظ الإيمانات بألا يخاطب لسانها لسان غادة مرَّة أخرى.

أما عماد فكان سعيدًا جدًّا برحيلها غير عابئ بغضبها، بل لم يبالِ لسببه؛ فالألم الذي هجمَ عليه منذ قليل لا يحتمله، ولايحتمل معه ثرثرة أحد إطلاقًا، وخصوصًا لو كانت ثرثرة نسائية. فعاد إلى الفراش مرَّة أخرى محاولًا النوم.

****

ظلت غادة تسترسل في الحديث لساعة كاملة.. تخبرهم بوصفات مُجرَّبة في جميع أنحاء العالم، ورددت أسماء مراكز تجميل كبيرة منهم الغالي ومنها الزهيد ومساوئ ومميزات كلٍّ منهم.

فغادة كانت من المهتمات بكل شيء عن جسد المرأة، بل هي أنثى بمعنى الكلمة في تلك الأمور.

وبعد أن انتهت من الحديث عن وصفات البشرة والشعر، انتقلت للحديث عن المطبخ والأكلات السورية واللبنانية، وهن مازلن في حالة اندهاش من كمّ هذه المعلومات القيّمة التي يعلمها عماد. كانت غادة كل فترة تسمع جملة تقاطع حديثها.. فمرَّة تقول إحداهن (لحظة والنبي يا أستاذ عماد قولي مقادير السمبوسك السوري تاني مالحقتش أكتبها) وأخرى تعلق (أنا عايزة أعرف اللبن في الكشك الألماظية بيتحط إمتى؟) وتصرخ ثالثة (لاااا أنا ماليش في المطبخ، أنا عايزاك تقولي بس الماسك بتاع تفتيح البشرة بيتعمل كام مرَّة في الأسبوع).

وقبل أن تنتهي من الرد على كل استفسارتهن، سمعتْ صوت صديق عماد من الخارج يخبره بانتهاء ما كلف به، وأن يأتي ليأخذه ويذهب به إلى غرفة المدير فورًا.

ودّعتهم برقة شديدة، بل كادت أن تقبّل كل واحدة من خدها أربع قبلات كما تفعل السيدات عادة مع بعضهن، لولا أنها انتبهت في آخر لحظة أنها عماد وليست غادة.

هرولتْ إلى "الريسبشن" وأخذت الأوراق من صديق عماد، ثم سألته بسذاجة عن مكان مكتب المدير. ضرب صديقه كفًا على كفٍ، ووصفَ لها إياه، وتركها وهو في حالة استغراب شديدة.

طرقتْ باب الغرفة ثم دخلت.. أشار لها المدير لتجلس:

- بص ياعماد أنا هكلمك على طول. أنت عارف إن أنت أحسن موظف عندي، هنا وإن دماغك نابغة عشان كده أنا هدّيك مشروع تخلصهولي في ظرف أسبوع.

كانت مبتسمة، منتشية عندما سمعت كل هذا الإطراء على زوجها الحبيب، فها هو صاحب العمل بنفسه يشيد بزوجها وبكفاءته، بالرغم من أسطوانة الفشل التي كانت تعايره بها طوال الوقت، أنه لايفعل أي شيء في العمل، يذهب ليأكل ويشرب ويأتي بأوامر سي السيد إلى المنزل.

- ساكت ليه ياعماد؟

- لأ يافندم كنت بس بقول ينفع آخد معايا الشغل في البيت؟ حضرتك عارف البيت هدوء وأقدر أركز أكتر .

صمت المدير لبرهة من الوقت ثم قال:

- مافيش مشكلة ياعماد، المهم إن خلال أسبوع فقط ألاقي الشغل منتهي على مكتبي، اتفضل قوم أنت.

أغلقت باب المدير خلفها، فرأت عامل البوفيه يمر من أمامها، أشارت له:

- عايزة أناناس Juice فريش يا اسمك إيه.

- خدامك مصطفى يا أستاذ عماد، ومافيش اللي حضرتك بتطلبه ده، أعملك النسكافيه بتاعك.

انتهتْ لغبائها، فسارعت بالرد:

- أيوة طبعًا يا مصطفى، اعملّي نسكافيه بسرعة. أنا كنت بهزر معاك ياراجل.

فغرَ الساعي فاه بابتسامة بلهاء قائلًا:

- ما أنا قلت كده برضو يا أستاذ عماد، حاضر حالًا أعملك النسكافيه.

الساعة مازالت الواحدة وغادة بدأت تملّ؛ فهي لاتعرف أحدًا في المكان سوى صديق عماد الذي أنجدها منذ قليل، ولكن واضح أنه انهمك في عمله هو الآخر، أما غرفة "الجنس الناعم" فانتبهت غادة إلى نظرات زملائها في العمل وهي تهم بالخروج منها منذ قليل، فكان هذا الوضع لايبدو مألوفًا بالنسبة لهن، فقررت ألا تدخل هناك ثانية. كانت تشعر بأن كارثة ما ستحدث في هذا المكان إن لم ترحل فورًا.

اتجهت إلى غرفة المدير مرَّة أخرى والتفتت بحركة مسرحية بعد أن طرقت الباب ودخلت، فقد قفزت إلى رأسها فكرة ذكية إلى حدٍّ ما تجعلها تهرب من هذا المكان الغريب.

استقبلها المدير متسائلًا:

- إيه ياعماد عايز تسأل على حاجة في المشروع؟

- لا يافندم بس كنت عايز طلب بعد إذنك.

- قول ياعماد خير؟

- كنت عايز آخد نص يوم النهارده عشان أبتدي أشتغل في المشروع. أصل أنا متحمس له جدًّا، وعايز ألحق أبدأ فيه بحالة الحماس اللي عندي دي.

نظرَ إليه المدير بإعجاب ثم قال:

- طول عمرك الأقرب لقلبي يا عماد عن باقي الموظفين اللي فاكرينها عزبة، ماشي ياعماد روح وابدأ فيه، ولو فيه حاجة وقفت قدّامك كلمني.

لم تسمع باقي الكلام، وركضت باتجاه باب المكتب بحركات أنثوية. خرجت من الشركة دون حتى أن تبلغ زملاءها أو تلقي عليهم السلام. كان تصرفها أقرب لطفلٍ ادعى المرض في المدرسة، فأمر المدير بأن يعود هذا الطفل إلى منزله فورًا خوفًا من عدوى باقي الأطفال، فركض الطفل نحو باب المدرسة ورحل سريعًا قبل أن يرجع المدير في كلامه.

مامرَّت به غادة أثناء عودتها إلى المنزل وخصوصًا في المواصلات لم تتخيل في يوم أنها ستمر به؛ فبالرغم من أنها استقلت تاكسي للرجوع إلى المنزل، إلا أن طول الطريق وازدحام الشوارع وحرارة الجو جعلت أنفاسها تختنق، وأعصابها كادت أن تنهار كليًا.

كل هذا وهي لا تقود، فما بال الحال إذا كان عماد وافق أن تأخذ سيارته؟ ففي صباح اليوم طلبت منه أن تأخذ مفاتيح سيارته ببراءة شديدة لتذهب بها إلى العمل، فسألها هل تجيدين قيادة السيارات فكان ردّها بالنفي.. هو طبعًا لا

يحتاج إجابتها لأنه يعلم ذلك مسبقًا، كان يريد فقط أن يُذكِّرها، ولكن كان مبررها أنها ستتعلم القيادة أثناء الذهاب للعمل.. يالها من بريئة كالأطفال!

شخصية بهذه الصفات وبهذا الوضع السيء في الطريق وهذا الزحام الذي لايطيقه بشر.. مؤكد أنها كانت ستترك السيارة في أي مكان حتى ولو على قارعة الطريق أو على بداية كوبري، وتستقل تاكسي أو ربما تترجل حتى المنزل هربًا من هذه الزحمة.

دخلت الشقة، حيث كانت هناك مفاجأة غير متوقعة تنتظرها بالداخل.

فتحت باب الشقة وهي لا تصدق أنها وصلت بسلام، فبعد يوم شاق، خصوصًا أنها ربة منزل قبل وبعد زواجها، كما أنها لم تعتد الخروج صباحًا، فهي تقضيه دائمًا مابين المطبخ لطهي الطعام سريعًا وباقي الوقت أمام المرآة لتصليح ما أفسده جو المطبخ ببشرتها.

أول مافعلتْه عندما دخلت المنزل، إلقاء جسدها على أول أريكة قابلتها في الردهة. فتحت أزرار قميصها واحدًا تلو الآخر بصعوبة شديدة حتى انتهت من فكهم جميعًا، فسارعت بخلع القميص وإلقائه أرضًا.

في أقل من لحظة تذكرت شجارها الدائم مع عماد على نفس هذا الفعل الذي قامت به منذ ثوانٍ. كانت بمجرد دخوله المنزل بعد عودته من العمل ودون إعطائه فرصة لالتقاط أنفاسه حتى..

"ماتدخلش بالجزمة، لسه منضفة السجادة"

"علّق لبسك مكانه.. أنا طالع عيني من الصبح"

"اقعد على الكرسي.. لا لا بلاش الكنبة ياعماااااد"

تذكُّرها لهذه الجُمل التي كانت تُلقيها لعماد كل يوم كان كفيلًا بأن يجعل الدم يفور في عروقها، بل لو فكَّر عماد وجُن في عقله الآن وحاول أن يردد عليها هذه الجُمل الحمقاء في ظِل الحالة المزرية التي تمرّ بها الآن، فلن تستريح إلا إذا ألقته بهذه المزهرية القابعة على المنضدة تنتظر رأسًا ترتطم به، فضغطتْ على زِر نسيان ما تذكرته ولو مؤقتًا شفقة بنفسها.

ظلَّت على هذا الوضع مايقرب من النصف ساعة، حتى بدأت تسترد جزءًا صغيرًا من نشاطها، فدخلت المطبخ جائعة، ولكن.. لم تجد أيّ طعام.

دخلت غرفة النوم لتجد عماد نائمًا. اشتمَّت رائحة شياط يخرج من بين جوانبها غيظًا مما تراه، وخصوصًا عندما تقلَّب عماد على السرير فَرُفِع عنه الغطاء الخفيف الذي كان يختبئ تحته بجسدها المثير فرأته يرتدي القطعة السفلية فقط من ملابسه الداخلية دون القطعة العلوية، والتي واضح أنه لم يتحملها كثيرًا، فقرَّر التخلص منها في أقرب صندوق قمامة. تذكَّرَت الوقت الذي تعرض فيه جسدها للطهي على حرارة الشمس الحارقة منذ قليل وازدحام الشوارع والإشارات اللعينة التي قابلتها في الطريق، فصرخت في غضب:

- عمااااااااااد.

- إيه في إيه؟ مين؟..

أجابها عماد بعد أن انتفض من على الفراش فزعًا.

- أنت نايم وأنا متهدلة في شغلك.. ومافيش أكل اتعمل والشقة زي الزفت وأنا جعانة.. هو ده اللي اتفقنا عليه؟

- حرام عليكي خضتيني، أنا تعبان ياغادة من الصبح.

- تعبان؟؟ بصراحة ليك حق تتعب، وأنت تعبان من كتر الراحة ولا من كتر النوم؟

- انتي مش متخيلة حجم الألم اللي أنا حاسس بيه. أنا من الصبح وأنا كل جزء في جسمي بيوجعني، وألم فظيع في بطني، لدرجة إنى شكّيت إن سيادتك أكلتي أكل مسمم قبل ما أرواحنا تتبدل.

انتهت لما يقول.. هدأت قليلًا بعد أن استشعرت صدق حديثه؛ فبالفعل كانت تشعر أول أمس بألمٍ شديدة في بطنها وخصوصًا الجزء السفلي منه، وكل جسدها كان يؤلمها بشكلٍ لايُحتمل. تركها شاردة ونهض من على السرير ليدخل الحمَّام ربما للمرَّة المئة. مرَّ أمامها وهو يترنح كالذي يتخبطه الشيطان من المسِّ، فكان يشعر بشيٍ غريب لا يفهمه كما أن شعوره ببلل ملابسه الداخلية غير المبرَّر أيضًا زاد من إحساسه المُلِّح لدخول الحمام سريعًا. التفتت إليه وهو يدخل الحمَّام لتفاجأ ببقعة حمراء قد طُبعت على ملابسه الداخلية من الخلف، مع وجود خيط رفيع من الدماء بدأ رحلة التسلل على فخذيه. وضعت يديها على فمها لتكتم شهقة صدرت رغمًا عنها لهذه المفاجأة غير المتوقعة.

نظرت سريعًا على النتيجة المعلَّقة أمامها فاستغربت لتقدم موعدها .

تذكرتْ ليلة أمس وعصبيتها المفرطة مع عماد ومشادتهم الكلامية التي حدثت دون سبب منطقي حتى الآن، فربطت الأحداث ببعضها واستنتجت أن ذلك نتيجة تغيُّر موعدها، ظلت شاردة حتى انتهت لصراخٍ صادر من الحمَّام:

- غاااااادة الحقيييييني.

- حاضر ياعماد ماتقلقش.. فهمت.. فهمت.

دخلت الحمام فوجدته جاحظ العينين منفرج الفم والأرجل معًا، وآثار الصدمة يظهر جليًا على وجهه. ليس لما رآه فأكيد هو يعلم جيدًا ما أصابه،

ولكن لأنه لم يتوقع أن هذا سيحدث معه وأنه سيكون يومًا بطل هذا المشهد السخيف من هذا الفيلم الأشد سخافة.

حاولتْ تهدئته وشرحت الأمر كله على عجالة. كل ذلك وهي تلصق فوطة صحية بملابسه الداخلية ببراعة، وكأنها آلة تعمل أتوماتيكيا مع شرح كيفيه وضعها وعدد مرَّات استبدالها، وهو يتابع حديثها باشمئزاز مختلط بإحساس الغثيان.

- وأنا هفضل كده لحد إمتى إن شاء الله؟

آثار الصدمة أنسته حتى المدة التي تُحيض فيها زوجته.

أجابته بضحكة مكتومة: ستة أيام؟

كان شعورها هو الأعظم على الإطلاق، فهذا الشهر أخذت براءة من رحلة العذاب والضنى.

نطق بلفظٍ نابي رغمًا عنه معترضًا على الرقم قائلًا لها: (...) 6 أيام؟؟

ثم اعتذر سريعًا لها بصوتٍ خجول على اللفظ الذي تفوَّه به؛ فهو أول مرَّة يستخدمه أمامها ، ولكن الموقف كان أكبر من أي أخلاق أو تربية.

- والألم ده هيروح إمتى، أنا حاسس إنى بموت بالبطيء يا غادة.

- هعملك حالًا قرفة باللبن وهديك مسكن وهتبقى زي الفل إن شاء الله.

كانت تكتم ضحكة طويلة بداخلها تخشى أن تظهر عليها فيستشيط هو غيظًا؛ فهي تعلم جيّدًا أنها أثناء هذه الفترة تكون متقلبة المزاج جدًّا ولا تتحمل تصرفات أحد.. جَدًّا كانت أو مزاح.

"بس انتي جاية تعبانة وجعانة ياغادة"

قالها وكأنه يلقي النشيد الوطني في فناء المدرسة.

مرَّرت يديها فوق رأسه برفق وقالت:

- أنا تعبانة وجعانة فعلًا ياعماد بس حاسة باللي أنت حاسس بيه. بعدين مش مشكلة نطلب دليفري، وأنا اللي أعزمك عليه كمان.

قامت لتُعد له كوبًا من القرفة الساخنة وداخلها إحساس غريب، فكم مرَّة كانت تحتاج لمثل هذا الموقف المتبادل من عماد، كم مرَّة أخبرته أنها تشعر بمزاجٍ سيء في أوقات معينة، ولا تريد منه وقتها إلا أن يتحملها فقط بل لم تطمع في أكثر من تجنبه لإثارة المشاكل معها في هذا الوقت.. كم مرَّة كانت بحاجة ماسة إلى أن يمرِّر يديه على شعرها أو على بطنها كمحاولة منه لتخفيف آلامها. طردت هذه الأفكار من رأسها وشغلت نفسها بإعداد القرفة حتى لاتُعكر مزاجها بهذه الذكريات المؤلمة.

دخلت الغرفة ومعها الكوب الساخن، وجلست بجانبه وهي مبتسمة. شعر عماد بسعادة كبيرة بل والشعور الأغرب أن الألم بدأ يزول، أو ربما نفسيًّا ظنه كذلك.

تركته يرتشف كوب القرفة اللذيذ الساخن وهو مستلقٍ على السرير تحت الفراش، ونهضت لتأخذ حمَّامًا دافئًا علّه يرحمها من حرارة الجو.

انتهت من الحمَّام وجلست بجواره تروي ما حدث خلال اليوم.

وفي خلال حديثهما.. كانت غادة تروي كل ماحدث بالتفصيل الممل، فمرة بضحكات مقهقهة عن موقف "غرفة الجنس الناعم" بالرغم من غضبه لحماقة تصرفها، ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك، ومرَّة تروي بخجل من موقف الحمَّام ومرَّة بملل، ومرة بإرهاق. كان يتخلل حديثها بعض الحركات التمثيلية.

وبالفعل هذه هي الأحاسيس التي مرَّت بها خلال النصف يوم الذي قضته بالعمل.

أما هو فكان في قمة سعادته واستمتاعه لوجودها بجواره ولطريقتها في سرد ما حدث لها طوال اليوم، فمكوثه وحيدًا وتوعكه المفاجئ جعله يتمنى حضورها سريعًا لتؤازره ولو نفسيًا.

بعد أن أنهت سردها كله، انتابتها لحظات من الصمت، هاجمتها الذكريات اللعينة مرَّة آخرى.. لماذا لم يأتِ عماد في يوم يحكي لها ما حدث في العمل؟ لماذا يواري عنها أحاسيسه؟ لماذا يفصلها تمامًا عن عالمه؟

كانت تتشوق أن يأتي عماد من العمل ليخبرها بما حدث معه من مواقف مضحكة فيضحكان سويًا أو مواقف سيئة فتواسيه وترفع عنه ضيقه، إلا أنه في كل مرَّة كان يعود مطالبًا الطعام وهو مستلقٍ على السرير، فردة حذاء أمام باب الشقة والفردة الثانية أمام باب الحمَّام، أما قميصه فالحق يقال.. كان كريمًا معها وحتى لا يُشعرها بالضيق أو الملل، فكان يلقيه كل مرَّة في مكان مختلف و الذي كان ينشأ بسببه الشِجار اليومي.

أجبرت نفسها على نسيان الماضي وما كان يحدث فيه ولو مؤقتًا، فها هي أصبحت في موقف قوة فقررت أن تعيش حياتها الجديدة بكل مافيها. انتبهت لموضوع المشروع الذي طلبه المدير منها، وأسرعت بإخبار عماد به قبل أن تنسى. ذهبت لتحضر له أوراق المشروع ليطّلع عليها.

بالفعل قام عماد بمراجعة الأوراق سريعًا وكتابة ملاحظات جانبية داخل الورق وتظليل بعض السطور الهامة. وهي تجلس بجواره تتأمل حياتها الجديدة وماذا سيحدث فيها؛ فالبرغم من توترها الشديد ليلة أمس من الوضع الجديد

عصير الكتب

وعدم نومها طوال الليل، إلا أنها بدأت تنظر الآن إلى النصف الممتلئ من الكوب ولتترك الجزء الفارغ إلى أن يأتي دوره وربما لن يأتي أصلًا.

طلبت من مطعم قريب طعامًا، وتناولاه وجلسا يتسامران بعض الوقت. انتهى اليوم بسلام.

وجاء اليوم التالي يحمل معه بعض المفاجآت الأخرى. استيقظت غادة في نفس ميعاد أمس حتى تذهب إلى عملها. قامت من النوم لتجد عماد يجلس بغرفة الضيوف رافعًا شعره لأعلى بشكل غير منظم، مرتديًا ملابسه الرجالية ويدخن سيجارة وعندما سألته عن أحواله أو ما به أخبرها أنه بدأ يتوتر للوضع الراهن، فهذا هو اليوم الثالث وبقي الحال كما هو عليه؛ فماذا بعد! حاولت طمأنته أنها قد تكون إرادة الله، فما عليهما إلا الانتظار لحين إشعار آخر. لملمت خصلات شعره المبعثرة وربطتها جيدًا حتى لا تضايقه ولم تنتبه الي الخصلة المقصوصة، طبعت قبلة على جبينه ورحلت .

ذهبت غادة إلى العمل، ولكن في هذا اليوم لم تحتَج إلى الخريطة التي رسمها عماد، فتوجهت إلى مكتبها مباشرة كما أنها أَلِفت بعض الوجوه المبتسمة فتلقائيًا كانت تبادرهم بالابتسامة، أما وجوه أمس العابسة فلم تلتفت إليها من الأساس.

حاولت هذا اليوم أن تقلل من كلامها تمامًا حتى لا تقع في الخطأ، كما أنها لم تكرر تجربة دخول غرفة "الجنس الناعم" ليس لأنها لاتريد ولكنها فكرت في احتمالية اعتياد الموظفات على عماد، فعندما تتبدل الأرواح لن تستطيع السيطرة على الموقف.

أنهت عملها الذي لم تنجزه أصلًا، فطوال الوقت كانت الرسائل لا تتوقف بينها وبين عماد على هاتفيهما المحمولين، فإما هي تستفسر منه عن كيفية

معاملة "فلان" أو عن مكان أوراق معينة قد طلبها المدير منها، أو يسألها هو عن كيفية سلق المكرونة و أيهما يُصنع أولًا المكرونة أم الصلصة.

بمجرَّد أن استقلَّت التاكسي قررت أن تنام حتى تصل البيت؛ فهي لن تسمح لنفسها أبدًا أن تمر بما مرت به أمس من ضجيج وحر وزحام. بالفعل استيقظت على نداء السائق لها وإخباره أنها قد وصلت بالسلامة.

عندما جلست على مائدة الطعام التي أعدّها عماد، كانت جائعة للغاية، أول ما فعلته أن ملأت الصحن عن آخره بالمكرونة ثم غطته بالصلصة الشهية المصنوعة باللحم المفروم. كانت رائحة الأكل تنم عن مذاق شهي لا مثيل له، ولكن.. !

كل أحلامها راحت أدراج الرياح، بمجرد أن وضعت أول ملعقة في فمها مليئة بالمكرونة والصلصة حتى قامت سريعًا لإفراغها بالحمَّام وسط دهشة واستغراب عماد الذي لم يعلم سببًا لما فعلته. تناول ملعقة بنفسه ليتأكد من جودة الطعام الذي صنعه حتى تغيّرت ملامح وجهه تمامًا وتبدلت ملامح وجهه من الدهشة والاستغراب إلى الامتعاض؛ فالملح في الطعام كان أكثر من الطعام نفسه. ربما هو لم يضع الملح على الصلصة، ولكن الأكيد بعد هذا المذاق أنه قد وضع الصلصة كلها داخل علبة الملح.

عندما عادت غادة كان العرق يندّي جبين عماد إحراجًا وحزنًا على تعبه الذي ذهب سُدى. لمحت بذكاء أنثى ضيقه مما حدث فحاولت أن تخفف من وطأة الوضع. قامت إلى المطبخ وهي تحمل معها صحن الصلصة لتعالج الأمر.

رجعت بعد دقائق إلى المائدة، وقد عالجت الصلصة ووضعتها أمامه وهي مبتسمة، وظلت تشيد بصنعه للمكرونة وأنها لأول مرَّة تتذوق مكرونة بهذا الجمال، وأن ماحدث للصلصة يحدث معها مرات كثيرة دون قصد منها، وأنها تعالج الأمر قبل أن تخرج من المطبخ أو يلاحظ أحد ذلك. نظرَ إليها في صمتٍ

كانت شفاهها تتحرك، ولكنه لم يسمع باقي حديثها؛ فقد رجع بذاكرته لهذا اليوم الذي عاد فيه إلى المنزل بعد العمل وجلس على نفس المائدة ونفس الكرسي، ولكن المرَّة السابقة كان الملح ناقصًا في الطعام أي يمكن معالجته بأسهل الطرق، ولكنه عنّفها كثيرًا حتى غادرت المائدة غضبًا ودون طعام.. سحبته من شروده وهي تخبره عن يومها وما حدث معها، حتى..!

رنَّ جرس هاتفه.. التقطه ليلقي نظرة سريعة على المتصل. سألته عن المتصل فأخبرها أنها والدته.

- عايزة إيه؟

- ردّي عليها انتي لأنها بتتكلم على تليفوني.

على مضض ردت: أيوة ياطنط.

أشار لها وهو يقول هامسًا "ماما مش طنط"

- أيوة ياماما معلش أصل كنت بكلم والدة واحد صاحبي من شوية واتلخبطت.

- .....

- نعم؟؟ لا أنا عادي خالص أهو، مافيش حاجة.

- .....

- إيه؟ جاية؟

مططت شفتيها تذمرًا، ورددتها مرَّة أخرى ليسمع عماد ماتنتويه والدته.

أومأ لها عماد برأسه أن ترحب بالفكرة فورًا.

- طبعًا ياماما تشرفي في أي وقت.

قالتها وهي تتمنى داخليًا أن تعدل عن فكرتها.

المشكلة التي كانت تنغص حياة عماد هي علاقة غادة السيئة دائمًا بأمه، فحاول أكثر من مرَّة أن يقرِّب بين وجهات النظر، لكن كل محاولاته باءت بالفشل.

غادة كان اعتقادها الدائم أن حماتها متسلطة، لاتريد لها الخير. نظرية المؤامرة كانت تسيطر على تفكيرها بشكل غريب، لذلك كانت لا تحبها ولا تفضل استضافتها أو زيارتها بصحبة عماد أو بدونه حتى، بالإضافة إلى أن غادة كانت تقابلها بفتورٍ ملحوظ. و على الرغم من أنه ظاهريًا لا يوجد شيء ملموس يؤكِّد صحة تخيُّلها هذا إلا أنها كانت مؤمنة كل الإيمان باعتقادها.

وإلى أن تأتي والدة عماد حدث أغرب حديث ممكن أن يحدث بين زوجين!!

بتردد واضح أشار إليها بأن تجلس جانبه ليخبرها شيئًا مهمًا قد يغيّر مسار حياتهما. استغربت من طريقته وأسرعت الخطى لمعرفة ما يريد قوله. أمسك يدها اليمنى التي يحتل الشعر جزءًا كبيرًا منها، فعماد يعتبر من الرجال ذوي الشعر الغزير ليس في يده فقط، ولكن في جسده بالكامل. طبعَ عليها قبلة رومانسية ثم طلب منها أن تستمع إليه جيّدًا بعد أن أخبرها أنه اليوم وهو يصنع الطعام داهمته فكرة عبقرية لن تتخيلها أبدًا، وأنها ستكون حلًّا لمشكلتهما معًا، وبعد أن ألحت عليه في معرفة الفكرة، أخذ نفسًا بهدوءٍ وحاول أن يتمالك زمام الأمور وقال: بصوت أنثوي ناعم:

- غادة انتي عارفة إننا بنروح بقالنا فترة عند دكاترة كتير عشان موضوع الأطفال ده.

قالت له:"أيوة" بصوتٍ حزين وكأنها تعاتبه داخليًا على لمسه لجرحها من جديد.

- عارفة إيه اللي أنا فكرت فيه النهارده؟

- ماتقوليش نروح لدكتور تاني، أنا بجد زهقت وتعبت من كتر الأدوية.

- لا ياحبيبتي مافيش دكاترة تاني، فيه حل أحسن بكتير.

- حل إيه؟

قالتها وكأن أبواب الأمل فُتحت جميعًا أمامها من جديد.

- أتجوز.

نظرتْ له والدموع على وشك الانتحار من عينيها، وكادت أن تنهض من جانبه لولا أنه أمسك بيديها برفق وطبع قُبلة أخرى وكأنه يتوسل إليها أن تجلس.

- ممكن أعرف إيه اللي ضايقك؟

- عايز تتجوز عليَّ ياعماد؟ هو أنت عشان عارف إني بغير عليك تقوم تعذبني أكتر بجوازك؟

- وأنا عشان عارف إنك بتغيري عليَّ فكرت في الفكرة دي.

اعتدل في جلسته وضمها إلى صدره مداعبًا رأسها الأقرع قائلًا:

- حبيبتي أنا هتجوز آه، لكن مش هتجوز.

- والنبي بلاش الألغاز دي ياعماد واتكلم على طول. ممكن تفهّمني قصدك إيه؟

- حاضر، بما إنك رافضة فكرة إني أقرّب من واحدة تانية غيرك، أنا قررت أتجوز بجسمي أنا، لكن بروحك انتي يعني انتي اللي هتتجوزي بجسمى وبكده أنا مش هلمس أي واحدة، وبكده يبقى أنا اتجوزت من غير ما تضايقي.

أصابتها البلاهة لبرهة من الوقت وكان ذلك واضحًا من انفراج فمها بشكلٍ كوميدي.. كيف فكر في هذا الفكرة العجيبة؟ بعدما خرجت من صدمتها ردَّت عليه قائلة:

- إيه اللي أنت بتقوله ده؟

- إيه المشكلة؟ هو احنا مش نفسنا نخلف؟

أومأت غادة برأسها.

وتابع هو:

- وفي نفس الوقت انتي عندك مشكلة والدكاترة مش فاهمين عندك إيه؟

أومأت برأسها مرَّة أخرى.

- وفي نفس الوقت انتي مش راضية أتجوز لأنه هيبقى ابني أنا بس وهتفضلي انتي محرومة من الأطفال؟

نظرت له شذرًا، بينما هو يتابع:

- ده غير إنك رافضة ألمس أو أشوف واحدة غيرك؟

نظرت إليه نظرة تحذير.

استطرد سريعًا قبل أن تغضب:

- وأنا احترمت رغبتك دي طول فترة جوازنا وعمري مابصيت على واحدة غيرك، وأهو الوقت مناسب إننا نجيب طفل من غير ما ألمس واحدة غيرك ويبقى ابننا احنا الاتنين.

- وليه ماتتجوزش أنت بروحك وبجسمي أنا؟ ويبقى الولد ابني بجد ويكون في رحمي أنا.

- انتي هتخليني أشك في ذكائك ليه ياغادة؟ أولا انتي كعماد مش كغادة تقدري تتجوزي واحدة واتنين وتلاتة لكن أنا كغادة ما أقدرش. ده غير إني استحالة أقبل حد يلمس جسمك غيري، انتي اتجننتي ولا إيه؟

- طيب والولد اللي هيجي ده هيبقى ابني ولا ابنك؟

- هو ده بقى مربط الفرس ياحبيبتي، الولد هيبقى ابننا احنا الاتنين، ابني جسدًا وابنك روحًا، وبكده تكون مشكلتنا اتحلت، بس لازم ده يحصل في أقرب وقت قبل ما أرواحنا ترجع تاني لمكانها.

- آه صح ياعماد.. لو روحنا رجعت قبل ما الجواز يتم هتتجوزها أنت؟ سألته وعلامات القلق بدت على وجهها.

- والله ما هيحصل ياغادة.. ده وعد.. واللي هيحصل وقتها إنك هترجعي في كلامك ونعتذر لأهل البنت وبتحصل في أحسن العائلات.

- طيب والبنت اللي أنا هتجوزها هنعمل فيها إيه؟ مش ده ابنها برضو اللي هتشيله في بطنها تسع شهور، هناخده منها ونقولها شكرًا دورك وقف لحد كدة؟
- معرفش بقى يا غادة.. وقتها يبقى يحلها الحلّال.

ارتبكت غادة وحاولت جاهدة أن تواري إعجابها بالفكرة ولو مؤقتًا حتى تقوم بعمل دراسة جيدة لها وتدرس كل جوانبها الإيجابية والسلبية؛ فالبرغم من غرابة وجرأة الفكرة، إلا أنها قد تكون حلًا وسطًا لمشكلة الإنجاب لديهما؛

عصير الكتب

فهي تشتاق للأمومة وتتمنى وتحلم ولو بطفلٍ واحدٍ فقط يشبع غريزتها الملحة عليها طوال الثلاث سنوات الماضية.

فكم ليلة نامت ودموعها تبلل الوسادة في صمتٍ ودون أن يشعر عماد حتى، وكم مرَّة ارتادت عيادات ومستشفيات، وكم من وصفات شعبية قامت بتجربتها.. فمرَّة دم الوطواط مخلوط مع زيت الزعفران وتدهن بهما الأماكن الحساسة كل يوم، ومرَّة تشرب مشروب التمر المكوَّن من سبع تمرات مضروبة في الخلاط، ثم تضعهم على نار هادئة لمدة عشر دقائق وتصفّيهم وتضع عليهم ملعقة كبيرة من حَبّ الرشاد وملعقة زيت زيتون وتشربهم.. ومرة ثالثة تذهب لشيخ معروف عنه تخصصه في حالتهم، ولكنه كان يعيش في قرية ريفية بعيدة انقطعت أنفاسهما حتى وصلا إليها، وعندما حان دورها وجلست أمامه بدأ بوضع يده على رأسها وظلَّ يقرأ آيات من القرآن ثم تمتم بكلمات غير مفهومة وصاح في وجهها مرَّة واحدة آمرًا الروح الساكنة بداخلها كما ادّعى أن تخرج من جسدها المؤمن قائلًا بصوتٍ جهوري مرعب: بحق الله تخرج من هذا الجسد قبل أن أحرقك، بحق الله، بحق الله.

ظلَّ يرددها وهو يضربها بعصاة خشبية رفيعة حتى أغمى عليها من الخوف والألم معًا.

كل هذه الذكريات المؤلمة التعيسة زارتها زيارة غير متوقعة في هذا الوقت بعد أن كانت نسيتها تمامًا منذ فترة. تألمت في صمتٍ كما لم تتألم من قبل، ولكن هذه الفكرة جعلتها تبدأ تحيي الأمل من جديد داخلها وتجدد أحلامها القديمة. قرَّرت داخليًا في جدية دراسة الفكرة وتحليلها ودراسة نسبة احتمال فشلها، قطعَ حبل أفكارها جرس الباب فاتجهت إليه شاردة الذهن.

"أهلًا ياطنط"

قالتها غادة بامتعاض كعادتها.

"طنط؟ " ردت عليها والدة عماد باستغراب شديد فهذه المرَّة الثانية اليوم التي يناديها ابنها بطنط.

- إيه ياست الحبايب ما أهزرش معاكي يعني، انتي مابتهزرش يارمضان ولا إيه؟

انتبهت غادة للخطأ القاتل الذي ارتكبتْه فداعبتها سريعًا حتى تتأكد من وصول الموضوع على أنه مزاح ليس أكثر.

دخلت معها غرفة الضيوف وجلستا سويًّا. بدأت والدة عماد الحديث قائلة:

- أومال فين غادة؟

- تعبانة شوية ونايمة جوة؟

- ألف سلامة عليها ياحبيبي ليه مالها كفى الله الشر؟

نظرت إليها غادة باستغرابٍ شديد. كانت تتوقع أن ترد والدة عماد "وتعبانة من إيه إن شاء الله أومال لو كانت خلّفت عيل ولا اتنين كانت عملت إيه".. فغادة دائمة التأثر بأفلام (مارى منيب) وإتقانها دور الحماة ببراعة جعلها تعتقد أن هذا هو الدور الرسمي والمنطقي الذي ينبغي أن تتقنه كل حماة.

- لا كسلانة بس مش أكتر ياماما. بقولك إيه ياست الكل كنت عايز آخد رأيك في موضوع.

- خير يا ابني؟

- أنا هتجوز.

قالتها غادة سريعًا وبدون تفكير وكأنها تبدأ دراسة الموضوع من الناحية العملية لتنجز سريعًا في الاستنتاجات. تصرُّف غادة كان غريبًا بالفعل.. أولًا لأنها لم تتفق مع عماد على إخبار والدته الآن كما أنها لا تعرف ردة فعله إذا علمَ بما فعلته الآن. ثانيًا أنها لم تدرس الموضوع بعد، فكل ما في الأمر أنهما تناقشا في الأمر فحسب ولم يتفقا بشكل نهائي.. فكيف بدأت في تنفيذه بهذا الشكل وكأنه أصبح أمرًا واقعًا؟

- إيه؟؟ ؟ تتجوز؟ إيه اللي حصل؟ ازاي بس؟ ومراتك؟ عايز الناس تقول علينا إيه، عايز أهلها يقولوا علينا أخدنا بنتهم وبهدلناها، حرام عليك يا ابني.

قالت آخر جملة وهي حزينة فعلًا وقلقة بشأن ماقاله عماد.. أسئلة متتالية متلاحقة من والدة عماد وهي مصابة بشبه صدمة لما سمعته.

تعجبت غادة تمامًا من سماع رد والدة عماد فأول ماتوقعت سماعه، بل وكانت تنتظره بلهفة حتى تشعر أن ظنونها تجاهها قد تأكدت.

"ما أنا قُلتلك كده من زمان يا ابني.. أيوة بقى اتجوز عشان تجيب عيل أشيله قبل ما أموت.. الحمد لله إنك أخيرًا اقتنعت بكلامي"

لكنها أبدًا لم تتفوه بما انتظرته غادة.

لو كان عماد أقسم لها بأغلظ الإيمانات أن أمه قالت هذا الكلام لصالِحها، ورفضت فكرة الزواج ماصدقت أبدًا ولو بعد مئة عام، ولكن ها هي السيدة أمامها بشحمها ولحمها تقول مالم تتوقعه غادة أبدًا.

هل غادة حرمت نفسها بشكوكها وسوء ظنها من أخلاق هذه السيدة؟ هل لو كانت أعطت لها الفرصة لتثبت حسن نيتها لكانت حياتها تغيرت؟

وخصوصًا أن غادة محرومة من حنان الأم رغم وجود والدتها، إلا أنها لم تعرف معنى كلمة أم.

كانت والدة عماد تتحدث بأسى، ولكن غادة عُقِدَ لسانها من صدمة حقيقة هذه السيدة.

- أنت ساكت ليه يا ابني؟ رد عليا.. ريحني يا ابني حرام عليك.

نظرت إليها غادة بتعجب ومازالت آثار الصدمة تعقد لسانها، إلا أنها تحاملت على نفسها وأجابتها:

- ياماما إذا كان هي موافقة أصلًا يبقى إيه المشكلة بقى؟

- موافقة؟ ازاي توافق على كدع. أنا مش مصدقاك أبدًا. لازم هي بنفسها تقولي الكلام ده.. أنا عايزة أتكلم مع مراتك.

- طب تعالى ندخل الأوضة وهي هتقولك كده بنفسها.

قالتها وهي لا تعلم رد فعل عماد حتى .

- يا ابني هدخل على مراتك الأوضة وهي نايمة؟ أنت ليه مش عايز تتعلم إن البيت له حرمة؟ أنا هفضل أعلمك لحد إمتى؟ اتفضل أنت ادخل اندها لي.

هل ستظل غادة تتلقى كل تلك الصدمات من هذه السيدة؟ هل ضميرها سيتحمل كل سوء الظن ذاك.. إلى أي مدى هذه السيدة عظيمة؟ الصدمة الألف لغادة.. والدة عماد ترفض أن تدخل الغرفة لحرمتها؟

- شفت؟ خايف تقوم تقولها.. والله ياعماد لو مراتك قالت إنك مزعلها قلبي وربي هيغضبوا عليك ليوم الدين. وقُلتلك الكلام ده كتير قبل كدع. أنت حُر بقى لو هتقدر تتحمل غضبي وغضب ربنا عليك.

كفى.. كفى.. كفى..

هرولتْ غادة إلى غرفة النوم، ربما هربًا من والدة عماد وربما هربًا من ضميرها الذي كاد أن يمزقها إربًا.

أخبرت عماد بكل شيء. سردت الحديث الذي دار بينها وبين والدته، وأنها ربما أخطأت بإخبارها بفكرة الزواج، ولكنه حدث ويجب التصرف سريعًا في الأمر قبل تضخمه.

في البداية غضب عماد ولكنه سرعان ما شعر أن هذا الموضوع كان لابد أن يُفتح في كل الأحوال، أيضًا ماجعله ينسى غضبه سريعًا ما قالته غادة بعد ذلك.

- عماد عايزة أقولك حاجة.

- خير.. عملتي إيه تاني؟

- لا كنت بس عايزة أقولك إن مامتك دي ست عظيمة. ربنا يخليها لنا ويبارك فيها. عمري ما هزعلها تاني ياعماد.

حاولت السيطرة على مشاعرها حتى لا تدمع عيناها.

لو دوَّن عماد مشاعره في هذه اللحظة في مجلدات لن تكفي أبدًا لمشاعره.

خرج عماد وقبَّل يد أمه كالعادة دون أن يراعي الفرق بين معاملته لها ومعاملة غادة لها. في الطبيعي أن غادة تخرج تمد يديها على مضض لتسلم عليها رغمًا عنها وهذا ما أدهش والدة عماد.. غادة تُقبّل يديها؟ كيف؟

قد يكون تصرفه لا إراديًا، وقد يكون تعمد، كتعويض لأمه التي تحملت فتور غادة كثيرًا ومعاملتها الجافة، ولكن الغريب أن غادة نفسها لم تشعر بضيق من تصرُّف عماد؛ فبعد أن عرفت هذه السيدة على حقيقتها تمنَّت أن تكون الآن داخل جسدها الحقيقي لتقبّلها هي أيضًا.

جلس ثلاثتهم يتجاذبون أطراف الحديث، ولأول مرَّة كانوا يتحدثون سويًّا دون أي مشاكل. ظلَّ عماد وغادة يسترسلان في الحديث محاولين إقناع والدة عماد أن العمر يمر سريعًا، وأنهما يريدان أن تشعر بإحساس الجدة وتستمتع

بدفءِ أحفادها، وأنهما متفقان دون زعل أو رفض طرف من الطرفين. كان حديثهما ومبرراتهما مقنعة إلى حدٍ كبير.. حتى اقتنعت بالفعل.

فبالنسبة لها طالما أن ابنها وزوجته متفقان، لا يهم أي شيء آخر، المهم سعادتهما.

قال عماد بصوت غادة وبروح يملؤها الحماس والفرح، بل قد يكون بالغ دون أن يشعر:

- انتي ياماما اللي هترشحي لنا العروسة.

نظرت أم عماد له باستغراب وردت:

- ربنا يسهل يابنتي.

لم يكتفِ بردها وأخذته الجلالة أكثر: عايزينها عروسة حلوة كده على ذوقك.

فنكزته غادة في ذراعه.

واضح أنه يوم المفاجآت بالنسبة لهذه السيدة المسكينة.. زوجة ابنها تريد عروسة لزوجها.. نعم طلب منطقي خصوصًا أنها لا تنجب وشِبه فقدت الأمل في هذا الموضوع.. تطلب من والدة زوجها أن تختارهي العروسة.. منطقية أيضًا إلى حدٍ ما لضمان أخلاق العروسة.. لكن تتمنى أن تكون العروسة جميلة بل وتحرص على ذلك؟ كيف؟ بأي منطق؟؟

منطقي طبعًا أن تدور كل هذه الأسئلة في ذهن والدة عماد، فهي لو علمت أن المتحدث ابنها وليست غادة لزال كل هذا الاندهاش والتعجب.

لم ترد السيدة واكتفت بقول: أنا هقوم بقى ياولادي عشان ألحق أروَّح.

قال الاثنان في نفسٍ واحد: ليه ياماما خليكي بايتة معانا.

لم تتحمل الأم أكثر من ذلك، وشعرت أنه من المحتمل أن بهما مسًّا من الجن فقرَّرتْ الرحيل فورًا قبل أن تصاب بالجنون، واعدة إياهما أن ترشح لهما العروسة في أقرب فرصة . كما يطلبان.

رحلت الأم فالتفتت غادة إلى عماد وفتحت ذراعيها الكبيرين له بجسدها الضخم، لم يتمالك نفسه إلا وهو سابح في جسدها بجسده الضئيل، وبالرغم من الشعر الكثيف الذي كان يعتلي صدرها وفتول عضلاتها وقوة بنيانه وكأنه يحضن صديقًا له، إلا أنه شعر أن الأرواح هي من تعانق بعضها وليست الأجساد. وهو ساكن بهدوء في جسدها تذكَّر المشروع الذي طلبه المديره، فخرج من حضنها سريعًا وأخبرها بالأمر.

- حبيبتي، لازم نقعد نشتغل مع بعض في المشروع ده.

- يااااه من زمان نفسي أتعلم شغلك ياعماد.

- حظك في رجلك ياستي، اشتغلي بقى زي ما انتي عايزة.

قالت بعتاب يختلط بدلع:

- بقى عايز عروسة حلوة ياعماد؟ ماشي ماشي.

- ردَّ ضاحكًا مازحًا:

- هو أنا أصلًا هشوفها ياحبيبتي دي محاولة لتحسين النسل.

جلسا سويًّا على الأرض فارشين الأوراق حولهما، كانت تناوله ورقة ورقة ليقرأها ثم يضعها بجانبه، تناوله ورقة أخرى بعد أن تلقي النظر عليها وتحفظ الكلام الموجود بها قدر استطاعتها، ثم تكتب ملاحظتها على هامش الورقة أو ما فهمته.

ظلا يعملان طوال الليل بتعاون وحُبٍّ شديدين لم يحدثا أبدًا من قبل، حتى قطعت غادة السكون والهدوء اللذين احتلا المكان بجملة صارخة: احنا نسينا أهم حاجة في موضوع الجوازده ياعماد!

ردَّ عماد بصوت يائس:

- إيه؟؟

- أنا هتجوز فين؟

قالتها وعلامات الحيرة قد ارتسمت على وجهها بوضوح.

تجهم وجه عماد لثوانٍ معدودة، ثم قال وبراءة الأطفال في عينيه:

- هنا في الشقة.

ردَّت باستنكار:

- ياسلام؟ أولًا مين دي اللي تقبل تعيش مع ضرة في نفس الشقة؟ ثانيا ولنفترض إنها وافقت أنت متخيل إني هوافق بواحدة ست تقعد معانا هنا في الشقة وأنت شايفها رايحة جاية قدامك؟ وألا أنت اللي عايزكده؟

أجاب سريعًا وكأنه ينفي التهمة عن نفسه:

- خلاص اتجوزي في شقة تانية ياغادة؟

- ده على أساس اننا مش عارفين نودي فلوسنا فين؟ أنت ناسي إن آخر مبلغ كان معانا اشترينا بيه عربيتك الجديدة.

- طب إيه الحل من وجهة نظرك؟

- مافيش غير حل واحد للأسف ياعماد.

قالتها بصوتٍ حزينٍ.

- اللي هو؟

- الطلاق، لازم نطلق ولو مؤقتًا، وأنا أتجوز هنا في الشقة.

- نعم؟ وأنا أروح أقعد فين يا أختي؟

- أقعد مع مامتك ياعماد.

- يابنتى انتي عايزة تجنيني، في واحدة تروح تقعد مع حماتها بعد ماتطلق من ابنها.

انتبهت لما قالته فاستدركت الخطأ فورًا:

- خلاص هتقعد مع ماما وأخويا.

- طب وبعد ما أقعد معاهم؟

- لما أتجوز وأخلف نبقى نرجع تاني لبعض أو نشوف هنعمل إيه!

بالرغم من ضيقه الشديد بالفكرة إلا أنها تبدو منطقية ومن الواضح أنه لايوجد حلّ غيرها، لملم الأوراق المفروشة على الأرض كالسجادة وهو يفكر بعمق وتمعُّن في الأيام التي سيقدمان عليها.. نعم التجربة مثيرة وقد ذبحت الملل الذي وُلِدَ بينهما منذ فترة وأصبحا أكثر قُربًا من بعضهما من ذي قبل بمراحل، ولكن لكل تجربة مخاطر وهو لايعلم إلى الآن ما هي المخاطر التي قد يتعرضان لها. أخذ نفسًا عميقًا وقرَّر خوض التجربة بكل مافيها من إيجابيات وسلبيات وليكن مايكون.

مرَّت الأيام وغادة تذهب إلى العمل يوميًّا وبدأت في تعلُّم قيادة السيارة؛ فقد رضخ عماد أخيرًا لمطلبها بعد أن رأى معاناتها يوميًّا في الذهاب إلى العمل، كما أنها تقربت أكثر إلى زملائه سواء الرجال أو السيدات، وانتهجت نهج عماد في

عمله. وقد أتقنت العمل إلى حد ما، وذلك طبعًا بمساعدة عماد وتحت إشرافه، وسلمت المشروع إلى مديرها في الميعاد المتفق عليه بعد سهر ليالٍ هي وعماد، وكان المدير سعيدًا كعادته بإنجاز عماد وتفانيه في العمل فقرَّر صرف مكافأة له.

كما احترف عماد أيضًا الأعمال المنزلية، سواء التظليف أو الطهي، وأصبح يبتكر أنواعًا جديدة من المأكولات عن طريق الإنترنت ومتابعة (برنامج فتافيت) الذي أحبَّه كثيرًا. صار التفاهم بينهما يزيد مع مرور الأيام.

في يوم عادت من عملها لتجده واقفًا في المطبخ بعد الطعام، فاتجهت إليه بخطوات بطيئة وفاجأته بحضنٍ دافئ من الخلف. التفت إليها بسعادة، ولكنه لم يلتفت وحده بل اصطحب معه رائحة الثوم والبصل. امتعضت غادة وكتمت أنفاسها. خرجت من المطبخ متأففة، فمنذ فترة وهي لاتدخل المطبخ وأصبحت الآن تميِّز الروائح النفاذة سريعًا. شعرَ بإحراج من هذا الموقف فاتجه سريعًا إلى الحمَّام ليستحم.

خرج ملتفًا بفوطة كبيرة من فوق صدره لفوق ركبيته، دخلَ عليها غرفة النوم ليجدها قد انتهت من تبديل ملابسها.

"وحشتيني"

كان عماد مبتسمًا وكأن شيئًا لم يحدث.

- مممم.. إيه الريحة الجميلة دي.

استنشقت غادة رائحة الصابون الجميلة المنبعثة من جسد عماد باستمتاع.

- يعني عجبتك؟

قبل أن تجيبه، صرخت في وجهه محدقة بعينيها في جسده: إيه ده ياعماد؟

قالتها وهي تشير الى ذراعيه.

- نظر إلى ذراعيه وقال لها: في إيه ياغادة مالك؟

- أنت سايب جسمي يطلع فيه شعر بالشكل ده وعادي كده ولا فارقة معاك؟

أجابها ساخرًا من مبالغتها:

- بتتكلمي على شعرتين طالعين في جسمك أومال الغابة اللي انتي جواها دي تقولي عليها إيه؟

- بقولك إيه أنا ماليش دعوة بجسمك أنا بتكلم على جسمي اللي تعبت فيه عشان أحافظ على شكله ونعومته. خليك زي ما أنت كده إوعى تتحرك.

نظر إليها في استغراب، ولكنه نفَّذ كلامها ولم يتحرك.

هرولت سريعًا إلى المطبخ، فتحت الثلاجة لتحضر علبة بها شمع عسل، ووضعتها على النار وظلت تقلبها بين كفيها حتى أصبحت جاهزة للعمل.

دخلت عليه الغرفة وهو واقفٌ لايفهم أي شيء عما يدور حوله. كانت تخفي يديها خلف ظهرها، ومرة واحدة ودون سابق إنذار، انقضَّت على ذراعه كما ينقض الوحش على فريسته، ووضعت عليه قطعة الشمع وساوتها جيّدًا بجلده، ثم فجأة شدتها من على ذراعه مرَّة واحدة رافقها صرخة ألم أنثوية طويلة من عماد.

- انتي مجنونة إيه اللي بتعمليه ده؟

قالها وهو ينفخ مكان انتزاع الشعر الذي تورم واحمرَّ سريعًا في نفس الوقت.

- أومال عايز تسيب جسمي بالشكل ده؟ مش كفاية الكريمات والزيوت اللي بقولك استخدمها ومش بتستخدمها.

- أنا عندي وقت يا غادة، ما انتي شايفة الطحنة اللي أنا فيها، كل يوم ما بين المطبخ والغسيل وتنظيف الشقة، أنا هجيب وقت منين بس.

- وأنا كنت بجيب وقت منين ما أنا كنت بعملك كل اللي أنت عايزه وفي الآخر تلاقيني قاعدة زي العروسة.

لم يعطِها فرصة لاستكمال جملتها وانطلق بسرعة الصاروخ في الشقة وهي تركض خلفه وقطعة شمع العسل في يديها، وأخيرًا نجح في الدخول للغرفة الأخرى وأغلق على نفسه من الداخل، ثم تحدَّث معها من خلف الباب.. بصي انسي إنك تعمليلي البتاع اللي في إيدك ده.. ده بيوجع أوي يا غادة والله.

- انسى.. أجابته غادة من الخارج وهي تقول: هتعمله يعني هتعمله ده أنت خليت شكلي ولا الخادمات.. اخرج أحسن لك يا عماد. قالتها وهي تدق على الباب بقوة.

فتح الباب وهو يتوسل إليها وهو لا يتمالك نفسه من الضحك: خلاص ياغادة بقى عشان خاطري.. طب بلاش النهارده.

وكأنه لايتكلم، انقضَّت عليه مرَّة ثانية بجسدها الضخم فوق جسده الضئيل، وظلَّت تنتزع الشعر الذي ظهر في ذراعه مرَّة تلو الأخرى، بل وعلى أجزاء متفرِّقة من جسده.

أما هو، فكان في حالة من الألم الرهيب، ولكن رغم ذلك أصيب بنوبة ضحك هيستري. .

جلسا سويًا على الأرض أمام باب غرفة الضيوف بعد انتهاء هذه المهمة، وهما في حالة إنهاك تام، وكأنهما لاعبين مصارعة قد انتهيا للتو من جولة مميتة.

****

مرَّت الأيام وفي ليلة طلاقهما، جلسا سويًّا في غرفة النوم يتجاذبان أطراف الحديث:

- احنا هنتواصل ازاي مع بعض ياغادة؟

- بالتليفون ياحبيبي.

- بس أكيد طبعًا من ورا أهلك اللي هقعد معاهم.

- أكيد طبعًا ياحبيبي، إوعى تغلط ويعرفوا إنك بتكلمني، أنت عارف سعيد أخويا ودماغه.

- عارف عارف ربنا يستر.

- هتوحشني أوي يا عماد.

- انتي أكتر يا غادة

ضمها إليه وعانقها عناقًا طويلًا حتى ظنا أنه لن ينتهي أبدًا. كانا مُغمضين العينين، فلم يرَ كلٌ منهما الآخر. طبع على شفتيها قبلة حارة تلتها العديد والعديد من القبلات المتلاحقة اللاهثة على باقي جسدها. وبالرغم أن جسدها ضخم ومغطى بالشعر إلا أنه أبدًا لم يشعر بذلك. بل لقد نسيا في هذا الوقت موضوع تبادل الأرواح تمامًا، فهو لقاء الحب الأول من بعد الحادث، فكلاهما كان رافضًا لفكرة إقامة علاقة حميمية مع الآخر على اعتبار أن العلاقة ستكون مع جسده هو لا مع جسد زوجه. فنفسيًا لم يتقبلا الفكرة، بل كان الشعور متبادلًا. أما الآن اختفى وتلاشى هذا الإحساس بالنفور بعد هذا العناق الرومانسي وهذه القبلات الحارة والمداعبات الطويلة التي حدثت بينهما، وخصوصًا أنهما سيصبحان على طلاق، ولايعلمان كم من الوقت سيقضيانه

عصير الكتب

مطلّقين. كانت أفضل ليلة يقضيانها سويًّا منذ زواجهما، بل هي الأروع على الإطلاق.

بعد مناقشات عديدة حدثت بين عماد ووالدته ومحاولة إقناعها بفكرة الطلاق، وأنه الأفضل بالنسبة لهما، بل إنهما اتفقا على ذلك أيضًا، وبالطبع لم توافق والدة عماد إلا بعد أن سمعت بأذنيها الموافقة من غادة، وبعد مشاجرة عنيفة حدثت بين شقيق غادة«سعيد» وبين عماد بسبب هذا الطلاق المفاجئ.. تم الطلاق بنجاح وانتقل عماد إلى منزل والدة غادة ليمكث الأيام المقبلة معها هي وشقيق غادة.

وبدأت غادة في التحضير ليوم الزفاف بعد أن تم اختيار الزوجة بعناية فائقة من والدة عماد، فقد طلبا أن تكون العروسة أرملة أو مطلقة، سبق لها الإنجاب، على خُلق. وبالفعل كان اختيارها لأرملة جميلة مهذبة لديها ابنة كان اختيارًا موفقًا تمامًا، فذهبت غادة ووالدة عماد إلى العروسة وطلبتا يديها من أهلها واتفقا على الزواج السريع دون فرح، مراعاة لمشاعر العروسة التي توفى زوجها منذ سنة تقريبًا.

تمَّ عقد القران في هدوء، ووصل العروسان إلى شقتهما!

دخلت العروسة إلى غرفة النوم بينما ذهبت غادة إلى المطبخ في حالة ارتباك شديدة وهي تفرك كلتا يديها ببعضهما.. تتساءل كيف ستضاجع امراة مثلها؟ تأتي الإجابة من أعماقها بأن الغاية تبرِّر الوسيلة.. تتساءل مرَّة أخرى كيف ستتقبل الأمر نفسيًا ومع هذا السؤال تذكرت سريعًا الأقراص التي أعطاها لها عماد عندما تحدثا في هذا الموضوع سابقًا.. فقد قالت له غادة أن هذا الأمر سيكون في غاية الصعوبة عليها فأعطاها أقراصًا تتناولها فور دخولها الشقة، وأنها ستبدأ تأثيرها بعد ربع ساعة لتُسهل لها كل شيء. أيضًا أخبرها أن تطفئ نور الغرفة وسيكون كل شيء على مايرام.

ابتلعت قرصًا بكوب من الماء، وظلت تتجول مابين المطبخ والحمَّام وغرفة الأطفال في حالة توتر شديدة حتى بدأ جسدها في التخدر وبدأت حالتها المزاجية تتحسن والتوتر يتلاشى رويدًا رويدًا. دخلت غرفة النوم لتجد عماد يجلس على السرير وعلامات الخجل ترتسم على وجهه.. حدقت فيه باندهاش متسائلة داخليًا: ما الذي أتى به إلى هنا؟ جالت في المكان بعينيها باحثة عن العروسة فلم تجد إلا عماد وأثاثًا يتراقص بالغرفة، ولكن بمجرَّد أن رأت وجه عماد شعرت براحة نفسية كبيرة وهرولت إليه تقبّله وتعانقه، فقد تخيلت أنه جاء لينقذها من هذه الورطة.

فتحت عينيها الثقيلتين بصعوبة، فقد شعرت بوجود شكارتين من الرمل فوقهما. وجدت نفسها مستلقية وحدها فوق الفراش. نظرت إلى الشباك لتجد نور الصباح يتسلسل إلى الغرفة فصدته بكفيها وبنصف عين حتى تستطيع الرؤية.. حاولتْ تذكُّر أي شيء من ليلة أمس، ولكن دون جدوى.. كل ماتذكرته وقتها هو وجه عماد فحسب. انتقلت عيناها سريعًا إلى باب الغرفة الذي فُتح..

لتجد سارة تدخل على استحياء وفي يديها صينية الإفطار.

- صباح الخير.

قالتها سارة في خجل مختلط بسعادة.

أجابتها غادة بحسرة:

- صباح النور.

إذن، فوجه عماد الذي رأته ليلة أمس ماهو إلا هلوسة نتيجة القرص الذي تناولته.

جلست سارة بجوار غادة ووضعت الصينية على السرير، فانتفضت غادة من

على الفراش متعللة بدخولها الحمَّام. استأذنت من سارة وخرجت من الغرفة، واتصلت بعماد:

- ألو، أيوة ياعماد ازيك؟

همست بها وهي داخل الحمام جالسة على طرف البانيو.

- أيوة ياحبيبتي ازيك؟ وحشاني أوي. ثم استطرد حديثه ساخرًا: ها سبع وألا ضبع ياصاحبي؟

- مش عارفة ياعماد. مش فاكرة أي حاجة، بس سارة واضح إنها مبسوطة أوي.

أجابته بضحكة رقيعة، ثم كتمت فمها بيديها سريعًا حتى لا تسمعها سارة، ثم استكملت حديثها هامسة:

- بس أنا مش عارفه ياعماد أتعامل معاها ازاي، أنا متوترة جدًّا.

- بصي ياحبيبتي انسي إنك جوة جسمي أو جوة جسم راجل عمومًا. تعاملي معاها بروحك كأنها واحدة صاحبتك، وفي الوقت المناسب تاخدي القرص تاني.

- أوكي ياحبيبي، المهم أنت طمّني عامل إيه مع ماما وسعيد.

- مامتك طول الوقت عمالة تندب على حظي ومعيشاني في نكد وكآبة فظيعة، أما سعيد مش قادر أقولك الكابوس اللي أنا عايش فيه بسببه.

- معلش يا عماد استحمل ياحبيبي عشان خاطري. أنا لازم أقفل دلوقتي عشان سارة ماتاخدش بالها.

- أوكي ياحبيبتي مع السلامة.

أغلق عماد التليفون. كان ينظر إلى الحائط المواجه له في سعادة من هذه المكالمة، فهو من فترة كبيرة، وبالأدق مُنذ انتقاله إلى الحياة الجديدة هذه وهو لم يسمع صوت غادة. ظلَّ مبتسمًا بعد أن أنهى المكالمة حتى..

تأمل ظِلّ الوحش الرابض أمامه على الحائط يشير إلى شخص يقف خلف عماد. التفت خلفه ليعرف من هذا.. حتى كانت الصدمة!

خرجت شرارة حارقة من عين هذا الشخص تنذر بكارثة ستحدث الآن..

- بتكلمي مين على الصبح يابت؟

سأله سعيد شقيق غادة بصوت أجش مرعب.

- بكلم واحدة صاحبتي.

أجابه وهو واثق تمامًا أن سعيد لو أخذ منه التليفون سيجد اسم فتاة بالفعل، فقد سبقَ وحفظَ رقمها على هاتفه باسم فتاة من صديقاتها تحسُّبًا لهذا الموقف..كما سبق أيضًا أن تبادلا هواتفهما المحمولة قبل الطلاق بساعات قليلة حتى يكون الأمر أكثر منطقية.

وبالفعل خطف سعيد التليفون من يد عماد دون حتى استئذان.. وما إن نظر إلى المكالمات الواردة وآخر اسم تم استقباله حتى ارتخت عضلات وجهه إلى حدٍ ما.. ولكن!

لحظات ورنَّ الهاتف مرَّة أخرى ودق معه قلب عماد هلعًا ورعبًا، فهو يعلم طبيعة غادة.. فهي دائمًا لابد أن تتذكر "شيئًا ما" بعد أن تغلق الخط معه وتعاود الاتصال به مرَّة آخرى.. ماذا لو رد سعيد ووجد الصوت المقابل صوت ذكر؟ ماذا لو ميَّز الصوت وعلم أنه لطليق شقيقته؟

كان القلق يفضح نفسه على وجه عماد، لذلك أصرَّ سعيد أن يرد على المكالمة.

ضغط سعيد على الزر الأخضر بالهاتف وانتظر ثواني ليسمع الصوت المقابل:

- ألو.. كان الصوت المقابل أنثويًّا ناعمًا جدًّا.

- أيوة مين معايا؟

- مش ده رقم غادة؟

- أيوة.

- طب أنا مروة صاحبتها.. هو حضرتك مين؟

لم يجبها، وأعطى التليفون لعماد لكي يرد..

سعيد إنسان فظٌّ، كان غليظ القلب مع الناس عمومًا، ومع أخواته البنات خصوصًا. فمنذ أن توفى والده وهو صغير.. ووالدته تعدِّه لأن يكون رجل البيت خصوصًا أنه الابن الذكر الوحيد الذي أنجبتْه على ثلاث بنات. فتعوّد منذ صغره أن يتدخل في كل كبيرة وصغيرة في حياة شقيقاته وكان ذلك يُقابل بترحيب شديد من والدته، فهي دائمًا كانت تؤمن بالمثل الشعبي الذي يقول (اكسر للبنت ضلع يطلع لها أربعة وعشرين).

التقط عماد التليفون من سعيد بيدٍ مرتعشة، وعندما قرأ الاسم ردَّ بتلقائية مصطنعة وكأنه يعرف المتصلة معرفة شخصية:

- ألو.. أيوة يا مروة ازيك؟

- ازيك ياغادة، إيه يابنتي اللي أنا سمعته ده، انتي فعلًا اتطلقتي؟

نظرَ إلى سعيد وأجاب بصوتٍ منخفض: أيوة .

شعرت مروة بتوتر الأجواء وتفهمت الوضع، فردَّت سريعًا لتُنهي المكالمة:

- طيب أنا جاية لك النهارده ياحبيبتي وقلبي عندك ياغادة.

كان صوت مروة مليئًا بالأسى والمشاعر الصادقة.

أغلق التليفون وقال لسعيد:

- مروة جاية النهارده.

أجابه سعيد ببرودٍ شديدٍ:

- ليه؟

- عشان موضوع الطلاق ده ياسعيد أكيد جاية تواسيني.

- بقولك إيه أنا مش عايز كلام كتير في الموضوع ده، من وقت موضوع طلاقك ده وأنا بتكسف أقابل أصحابي، بسبب إن أختي مطلقة وسيادتك عايزة تقابلي صحباتك وتعيشي حياتك ولا كأنك جبتلنا العار.

- عار؟ ليه ياسعيد بتقول كده؟

- كمان مش عارفة ياهانم؟ ليه مش فاهمة لقب مطلقة ده معناه إيه؟ بقولك إيه لحد لما أشوفلك راجل تتجوزيه ويلمك مش عايز لا خروج ولا كلام كتير في التليفون. عايزين الناس تنسى الموضوع ده شوية.

رنَّت كلمة راجل تتجوزيه في أُذن عماد، فسرت برودة شديدة في أنحاء جسده رغم حرارة الجو، وشعر بدوَّار يجتاح رأسه و غمامة مفاجئة على عينه

أفقدته الرؤية لثوانٍ، ولكنه رغم ذلك تمالك نفسه سريعًا وردَّ قائلًا في تعجب واضح:

- راجل أتجوزه ازاي يا سعيد؟

أصدر صوتًا قبيحًا من أنفه وقال:

- أومال انتي متخيلة إني هقبل الوضع ده كتير؟ لازم طبعًا تتجوزي بعد ماتخلّصي فترة العِدة بتاعتك.

انتفض عماد من الصوت الفج الذي أصدره وتخيَّل لو كانت غادة مكانه وسمعته، فلعن عائلة سعيد بأكملها في نفسه، ودعى الله أن يأخذ سعيد أخذ عزيز مقتدر.

كان عماد يعلم طباع سعيد الصارمة، ولكن لم يحسب لهذا الموضوع أي حساب أبدًا.. لا هو ولا غادة.. كل ما فعلته غادة أنها نهت عماد لطباع سعيد وألا يجادله كثيرًا وألا يرفع صوته على صوت سعيد. كما أخبرتْه أيضًا أن سعيد لا يتفاهم معها أو مع أخواتها البنات إلا بيده فأخبرته أن يتجنب الحديث معه طويلًا.
صمت عماد تمامًا.. صمت لسانه، ولكن لم يصمت عقله عن التفكير. لم ينبس بكلمة حتى يفكر كيف سيخرج من هذه الورطة.

خرج سعيد بعد القنبلة التي فجَّرها في وجه عماد غير منتظرٍ لأي ردٍّ، وكأنه أصدر فرمانًا غير قابل للنقاش بزواج أخته بعد قضاء عدتها.

جلس عماد على سرير غادة يتخيل كيف كانت غادة تتعامل مع سعيد هذا؟ كيف كانت تتحمله أو تطيقه؟ بل تذكَّر أيضًا أنها قبل الطلاق تعمدت الشجار مع سعيد باليد، وكانت تقوم بلكمه على وجهه بغلٍّ فتخيل وقتها أنها ربما أرادت

تقمص الشخصية ببراعة حتى لايشك أحد بالموضوع، ولكنه الآن فهمَ أن غادة كانت تنفث عن غيظ مكظوم بداخلها من سنينٍ طويلة تجاه سعيد، فتعاطف معها داخليًا، بل ودَّ أن يكون داخل جسده الحقيقي الآن حتى يصفعه صفعة قوية على وجهه ويوسعه ضربًا.

حاول أن يطرد هذه الأفكار السلبية ولو مؤقتًا من رأسه وخرج من غرفته لينجز مهامه المنزلية قبل أن تأتي مروة صديقة غادة، فزيارة مروة لم تكن في الحُسبان. واضح أن هناك أشياءً كثيرة لم تكن في الحُسبان.

أما عن إنجاز الأعمال المنزلية الشاقة التي يقوم بها، فقد كانت بأمرٍ من سعيد، ربما كنوع من العقاب على العار الذي ألحقته به، وربما كانتهاز فرصة ليريح والدته المسنّة.

خرج عماد من الغرفة ليجد والدة غادة كعادته منذ أن انتقل هنا، تجلس على كرسى في صالة الشقة تُتمتم بكلمات حزينة غير مفهومة وكأنها تندب. أخذ نفسًا عميقًا فها هو مسلسل النكد اليومي قد حان وقت إذاعته، وما إن لمحته والدة غادة وهو يمر من أمامها حتى تعمدت رفع صوتها ليكون مسموعًا. "مالكيش حظ في بناتك يا زينب، ياريتك ماخلفتي بنات بدل العار اللي انتي فيه ده يازينب"

- ليه بس؟ عار إيه؟

ردَّ عليها عماد بعد أيام من الصمت على هذا النكد اليومي الذي يستيقظ وينام عليه بل ويتحمله مجبرًا.

- ما هو ده اللي انتي فالحة فيه، الرد وقلة الأدب، آه تلاقي جوزك طلقك عشان كدة.. له حق.

قالتها وكأنها تتعمد أن تؤلمها نفسيًا.

هي لم تقصد داخليًا أن تؤلمها، ولكنها كانت تقصد أن تؤنبها كي لا تتردد كثيرًا إذا فكَّر عماد أن يردها إليه وبذلك تتخلص هي من مسؤليتها؛ فهي لم تكن من المحبات للبنات أبدًا، وكانت تفضل إنجاب الذكور، ولكن لم يوعدها الله إلا بذَكرٍ واحدٍ بعد إنجابها البنات فقد كان أصغرهم، فظلت تزوِّج الواحدة تلو الأخرى سريعًا حتى تتخلص من مسؤليتهم.

- هو أنا رديت عليكي إلا النهارده؟ ما أنا كل يوم بسمع كلامك اللي يوجع ده ومش بردّ.

أجابها عماد دون أن يذكر كلمة ماما إطلاقًا. لم يستطع أن ينطقها منذ أن انتقل للعيش معهم إلا نادرًا. أو عندما يضطر لذلك.. فوقتها يقولها على مضض. بالرغم من أنه لم يشعر يومًا بكرهٍ تجاه والدة غادة إلا أنه ومنذ انتقاله إلى العيش معهم رآها شخصية مختلفة تمامًا عن ذي قبل.

أما عن المقارنة بين والدته ووالدة غادة؛ فهي كالمقارنة بين برج إيفيل بباريس وبرجٍ سكني في شبرا. وبالرغم من شِدة والدة غادة وقسوة وغباء شقيقها سعيد، إلا أن غادة لم ترث أبدًا منهم هذه الطباع؛ فقد كانت طيبة مثل أبيها وتتحمل فوق طاقتها كل المشاكل التي تُقابلها.. هي بالفعل كانت سيئة الظن دائمًا، ولكن صاحبة قلب نقي، حتى حماتها فبالرغم من كرهها الشديد لها في بادئ الأمر إلا أنها لم تجعل أي ضيق بداخلها يتحول إلى مشكلة كبيرة.. حتى آخر مشكلة حدثت بينها وبين عماد قبل الحادث، كانت مجرَّد مشادة كلامية ولو أن الأرواح لم تتبدل لكانت في الصباح هي أول من يبادر بالصلح كالعادة .

- مش عايزة كلام كتير أحسن والله أندهلك سعيد يربيكي.

قالتها أم غادة بلهجة تهديد صريحة .

قبل أن يأخذ عماد أي موقف عدواني أو عدائي، تذكَّر سريعًا المشاكل التي قد يجلبها لنفسه وهو في غِنى عنها تمامًا، وخصوصًا أنه تحت رحمتهما الآن. فكَّر للحظات أن يقول الحقيقة وأنه عماد وليس غادة وليحدث ما يحدث، ولكنه رأى نفسه داخل البالطو الأبيض في المصحة النفسية ومريض بجواره يخرج له لسانه، فتراجع عن قراره، قائلًا على مضض وهو يجزّ على أسنانه:

- حاضر.

قالها بقهرٍ شديد.. قهر من نوع جديد لأول مرَّة يشعر به.

ودخل المطبخ ليجهز الإفطار قبل أن تبدأ شعائر صلاة الجمعة.

****

ودَّت غادة لو تظَلّ داخل الحمَّام ولا تخرج أبدًا بعد أن أنهت مكالمتها مع عماد، ظلَّت فترة طويلة بالداخل لدرجة تجعل القلق يدُب في قلب من يجلس بالخارج وخصوصًا لو كان من بالخارج ينتظر خروجها بفارغ الصبر، وبالفعل هذا كان حال من بالخارج.

"عماد"

همست بها سارة وهي تدق على باب الحمَّام برقّة ونعومة.

ردَّت غادة وهي مرتبكة:

- أيوة، أنا خارج أهو.

فتحت غادة باب الحمَّام وخرجت منه بعد أن رسمت جاهدة على وجهها ابتسامة مصطنعة حتى لا تشعر سارة بارتباكها، وعندما لاحظت الخجل على وجه سارة انتهزت فرصة هذا الضعف وقالت بصوتٍ عالٍ: فين الفطار؟

قالت سارة سريعًا وبأدب جمّ: الفطار على السرير أنت اللي قُمت عشان تدخل الحمَّام.

شعرت غادة من داخلها بقوة غريبة.. قوة لأول مرَّة تشعر بها. فابتسمت ابتسامة رضا وسعادة وربتت على ظهر سارة واتجهت إلى الغرفة لتتناول الإفطار محدثة نفسها داخليًا: يااااااه يا غادة بيتعملك الفطار، وكمان بيتحط على السرير.. ده انتي اتفتح لك باب الجنة.

بالرغم من أن عماد كان طوال الفترة السابقة هو من يُعدّ الطعام، إلا أن غادة كانت تشعر أن ذلك كان بمقابل بعد أن قايضته أن يقوم بأعمالها مقابل أن تذهب هي إلى عمله، أما الآن فهي تشعر بإحساس مختلف.

****

انتهى عماد من إعداد الفطور ووضعه على المنضدة، ولم يستطع نفسيًّا أن يجلس معهما ليتناول فطوره؛ فبعد حديثه السابق الصادم مع سعيد، ثم وبلَا هدنة أو رحمة حديثه مع والدة غادة، كان كفيلًا بأن ينبئ بيوم أسود ليس له ملامح.

تركهما يتناولان فطورهما ودخل المطبخ ليُنظف الخضار التي سيعدّها على الغداء وقَد شعرَبشعورٍ غريب.. قهر مصاحب لغصة في القلب بنكهة الذُل.

هذا الإحساس الغريب الذي شعر به جعله يفكِّر لأول مرَّة في حال غادة وكيف تحملت هذه المسكينة كل هذا الشقاء وحدها.. كيف استطاعت أن تعيش عشرين سنة من القهر والذُل في هذا البيت دون أن تنطق؟ دون أن تعترض؟ دون أن تصاب بمرضٍ نفسي مثلًا؟ كيف تأقلمت مع فكرة أن يكون لها أخٌ مثل سعيد؟

لو كان يعلم أن هذا ماكانت تعانيه قبل الزواج لكان عجَّل من الزواج بها، بل لكان عوّضها كثيرًا عن هذه الأيام اللعينة التي عاشتها وتحملتها معهم كالأبطال، ولكنه لم يفعل ذلك بل كان أداة ضغط على أعصابها.. خصوصًا في مشكلة عدم إنجابهما والذي لا ذنب لها فيه البتة. تذكَّر بعض الأشياء التي كان يفعلها معها، وود لو يصفع نفسه الآن عقابًا على مافعله بها قائلًا لنفسه بضيقٍ شديدٍ: يا أخي هي كانت ناقصاك أنت كمان عشان تعمل فيها كده.

****

بعد أن انتهت سارة وغادة من تناول الإفطار، اتجهت سارة إلى الدولاب بحركة رشيقة وأخرجت جلبابًا ناصع البياض مُعلق على شماعة ورفعته أمام غادة تعرضه كبائعة محترفة في محل وهي مبتسمة، فقالت غادة بتلقائية:

- إيه ده؟

أجابتها سارة بحماسٍ:

- دي هدية اشتريتهالك وقلت لازم أول صلاة جمعة تصليها بعد جوازنا تنزل وأنت لابس الجلابية دي.

ردَّت غادة باستغراب مصاحب لعلامات بلاهة ظهرت على وجهها بوضوح:

- أنزل أصلي الجمعة فين؟

ردَّت سارة بجِدّة:

- إيه هو أنا قلت حاجة غريبة؟ هو أنت مش هتنزل تصلي الجمعة وألا إيه؟

كان صوتها يُنذر بغضبٍ جارف وتنبيه بأن هذه الأمور لا مزاح فيها. فسارة كانت إنسانة متدينة وملتزمة تفخر وتمدح دائمًا في الرجل الذي يؤدي كل صلواته في المسجد.

بلعت غادة ريقها بصعوبة وقالت:

- أيوة طبعًا هنزل أصلي.

- طب يلا قوم البس عشان ماتتأخرش على الصلاة.

قالتها سارة برقة ونعومة.

****

خرج عماد من المطبخ لينظف المنزل وهو متقمصٌ لشخصية الفنانة شادية في فيلم (نحن لا نزرع الشوك) وخصوصًا بعد سحابة النكد التي غيمت على المنزل، لم يراوده شعور في هذه اللحظة إلا أن يُشعل سيجارة ويتناول كوبًا من الشاي بجانبها.

كان مرتديًا "ترننج" قد شمر رجليه حتى الركبة وعقد شعره الطويل لأعلى، فقد كان يزعجه كثيرًا بطوله وكثافته، بل لقد شعرَ أخيرًا بغادة عندما كانت تترجاه أن تقصه ويرفض هو بكل إصرار. ثم تمتم هامسًا: فعلًا اللي إيده في المياه مش زي اللي إيده في النار.

دخلَ غرفة سعيد لينظفها جيّدًا، محاولًا أن ينال رضاه ليتجنب غضبه قدر المستطاع. وهو يرتب الغرفة، لمح علبة السجائر الخاصة بسعيد على مكتبه فالتفت يمينًا ويسارًا كاللصوص قبل أن يسحب سيجارة من العلبة. لم يعلم كيف وأين سيشربها، ولكنه لم يشعر بنفسه إلا وهو يضعها سريعًا في جيب الترننج الذي كان يرتديه.

****

عصير الكتب

ارتدت غادة الجلباب الأبيض وخرجت من باب الشقة بعد أن ودعتها سارة بابتسامة حانية. كانت تضحك على نفسها وهي تسير في الشارع بهذا الجلباب الأبيض. دخلت المسجد وجلست وسط الرجال.. صعد الشيخ إلى المنبر وبدأ في إلقاء خطبته، ولكنها لم تكن منتبهة جيّدًا لما يقوله؛ فكل ما كان يهمها أن تشاهد الرجال وما يفعلونه في صلاة الجمعة، فهي المرَّة الأولى التي تصلى فيها الجمعة داخل مسجد الرجال. ظلت تجول بنظرها داخل المسجد في فضول شديد.. تتابع هذا وتتابع ذاك حتى..!

وقع نظرها على شيءٍ غريب فاتسعت حدقتا عينيها عن آخرهما وتسمرت مكانها وهي لاتصدق ما تراه أمامها.

فركت عينيها جيّدًا، وما إن بدأت في التدقيق والتحديق مجددًا حتى تأكدت مما رأته؛ فالشاب الذي كانت تنظر إليه شعر أن أمره قد كُشف لا محالة فبدت على وجهه علامات الارتباك وحاول أن يتصنع النظر إلى مكانٍ آخر في لامبالاة، ولكنه فشل في ذلك تمامًا فكل دقيقة ينظر إلى غادة داعيًا الله أن يكون قد نُسي الأمر وانشغل بأمر آخر، يجد غادة مازالت تبحلق فيه وفى الشيء الذي في يديه، فقام بحركات غريبة في الخفاء ثم شدَّ كُم التي شيرت على الشيء وخبأه تحت الكُمّ وأمسك أطرافه بيده جيّدًا حتى اختفى الشيء تمامًا. وما إن فعل ذلك حتى تأكدت غادة من شكوكها نحوه، وأن ما رأته كان صحيحًا ولم يمنعها عنه إلا صوت الإمام وهو يقيم الصلاة استعدادًا لها.

ساووا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة.. صلوا صلاة مودع.. استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم.

اصطف المصلون خلف الإمام ليبدأوا في الصلاة بعد كلماته، إلا أن غادة لم تكُن في حالة جيّدة في هذا المكان الذي تقف فيه؛ فاخترقت الصفوف لتقترب من هذا الشاب أكثر، وبالفعل استطاعت أن تحتل مكانًا قريبًا منه إلى حدٍّ ما.

وبدأ الإمام الصلاة وهي في حالة تشتُّت وعدم تركيز بسبب ما رأته.. كل ما كان يشغل تفكيرها في هذه اللحظة أن ينهي الإمام الصلاة سريعًا لتذهب إلى هذا الشاب وتقبض عليه متلبسًا أمام الناس .

****

بينما كان سعيد في المسجد ليؤدي صلاة الجمعة وكانت تقريبًا الصلاة اليتيمة التي يؤديها على مضض طوال أيام الأسبوع، وبعد محايلات عديدة من والدته، دخلت أم سعيد لتأخذ قيلولتها اليومية في هذا الوقت الدائم لها، فمن الواضح أنها قد أُرهقت من دور الشريرة الذي تقمصته بنجاح باهر منذ الصباح الباكر حتى أرادت أن تأخذ هدنة ولو قليلًا قبل أن تستكمل باقي مشاهد وصلات النكد على مدار اليوم..

وهنا فقط.. !

بدأ عماد يفكِّر سريعًا في مكان يستمتع فيه بالغنيمة التي حصل عليها من غرفة سعيد، فربما هي الشيء الوحيد الجميل الذي حصل عليه منه.. دخل غرفة غادة بعد أن أغلق الباب بإحكام، دخل البلكونة وأسدل ستارتها بحيث لا يستطيع أحد من الجيران رؤيته وجلس على الأرضية. لحظات وكانت يده تسبح في أعماق جيبه تبحث عن حبيبته الغائبة منذ أيام؛ فمنذ أن انتقل للعيش هنا وهو لايستطيع التدخين إطلاقًا، كل ماكان يستطيع فعله أن يحضر بكوبٍ من الشاي ويقدمة لسعيد وهو يقترب منه أكثر حتى ينال قِسطًا وفيرًا من الدخان الخارج من فمه، ولكن سعيد كان سرعان ما يأمره بالخروج من الغرفة بعد أن يضع الصينية. ثوانٍ وعثرت يده على السيجارة فأخرجها وأخرج معها الكبريت الذي أحضره من المطبخ وهو في طريقه إلى الغرفة، ثم طبع عليها قُبلة رومانسية، هامسًا لها بحديث العاشقين.. وبحبك وحشتيني.. بحبك وانتي نور عيني.

أشعل السيجارة وأخذ منها نفسًا عميقًا ثم أسند رأسه إلى الحائط. بدأ التبغ يتسلل إلى رئتيه فدغدغ أحاسيسه بعد أن شعر بدوَّارٍ خفيف وتخديرٍ سرى في كل أنحاء جسده بسبب خلوّه من النيكوتين طوال الفترة السابقة.. فكان هذا الإحساس بالنسبة له هو الأروع على الإطلاق؛ فبالرغم من أن غادة كان جسدها خاليًا تمامًا من النيكوتين إلا ان عماد عندما امتلك جسدها وجعله يعتاد عليه بالإكراه.. فأصبح كأي مدخن يتعطش دائمًا للنكوتين.. ثم وفجأة بعد أن انتقل إلى منزل أهلها توقف ثانيًا عن التدخين فخلا جسدها منه.. ظلَّ يأخذ نفسًا تلو الآخر قبل أن يعود سعيد من الصلاة وهو في حالة نشوة عارمة مع حبيبته.

****

بمجرَّد أن قام الإمام بالتسليم يمينًا ويسارًا بعد التشهُّد وفعل مثله المصلون خلفه، وجّهت غادة نظرها سريعًا إلى مكان الشاب لتفاجأ باختفائه من مكانه. جنَّ جنونها فنهضت وركضت بسرعة البرق لتبحث عنه بين الرجال.

****

خرج سعيد من المسجد و اتجه إلى المقهى الذي اعتاد أن يجلس به ليشرب حجر معسل قبل أن يصعد إلى البيت؛ فالبرغم من اعتياده على شرب التبغ بجانب المعسل إلا أنه منذ طلاق غادة لم يذهب للجلوس مع أصدقائه على المقهى كما اعتاد في كل جمعة حتى لا يفتح معه أحد موضوع الطلاق، ولكن اليوم شعر أنه لابد أن يذهب إلى هناك، فإلى متى سيظل يتهرب من أعين الناس ومن همساتهم الجانبية. وصل إلى المقهى وطلب كوبًا من الشاي وحجر معسل .

****

بعد أن انتهى عماد من السيجارة شعر براحة كبيرة، وبالرغم من أنه لم يشعر بالاكتفاء الكامل منها إلا أنه حدَّث نفسه داخليًا: واحدة أحسن من مافيش ياعماد. بل سرعان ما حمد الله أنه لم يتهور ويذهب إلى غرفة سعيد ليسحب سيجارة أخرى من العلبة، فقد سمع والدة غادة تدعبس في أشياءٍ بالصالة بعد أن استيقظت مبكرًا من قيلولتها.

قام سريعًا ودقات قلبه أوشكت على التوقف من شدة الخوف، فتح ستارة البلكونة وهرول نحو دولاب غادة يبحث عن زجاجة عطر ليخفي بها معالم جريمته. ظلَّ يزيح الهواء بكلتا يديه خارج الغرفة باتجاه البلكونة، وكاد أن يستحم بزجاجة العطر حتى لايشم رائحته أحد.

لم يشعر أبدًا أن تدخين السيجارة وسط الناس وأمام الجميع متعة لم يكن يعلمها إلا الآن، خصوصًا وهو يرتجف خوفًا وكأنه سيقبض عليه وهو يضاجع السيجارة وليس وهو يشربها فحسب.

دخل سعيد إلى المنزل بعد أن انتهى من شُرب حجر المعسل على المقهى. اتجه إلى غرفة غادة مباشرة ليطمئن ماذا تفعل.

- بتعملي إيه؟

- ولاحاجة.

- إيه الريحة دي؟

- ريحة إيه ياسعيد؟

سأله عماد بعد أن ارتعشت مفاصله.

- في ريحة برفان تقيلة أوي.

تنفس عماد الصعداء وأراد أن يخُرّ على الأرض ساجدًا ليشكر الله على تخليصه، فأجابه:

- أيوة أنا رشيت برفان من شوية وكنت بلمع بيه الموبليا عشان الشقة تبقى ريحتها حلوة.

نظر إليه باشمئزاز وخرج بعد أن أمره أن يُوقظه عندما ينتهي من تحضير الغداء.

****

فشلت غادة في العثور على الشاب بين الرجال وكأن الشاب استقل صاروخًا وصعد إلى المريخ بعد انتهائه من صلاة الجمعة. شعرت بضيق شديدٍ، وقررت أن تسير قليلًا في الشوارع لتستنشق الهواء، فهي لا تريد أن تعود إلى المنزل الآن خوفًا من الجو الرومانسي الذي قد تخلقه سارة.

ظلت تسير بعيدًا عن مكان المسجد حتى مرت بجوار مقهى صغير، نظرت إلى داخلها بالصدفة، وما إن لمحت من يجلس بداخلها حتى ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة، فواضح أن الصاروخ صعد إلى المريخ وحده دون الشاب، فقد كان يجلس على كرسي بعيدًا بداخل المقهى يقرأ الجريدة ولم ينتبه إلى أن غادة تقف خارج المقهى تنظر إليه.

وفي هذا الوقت شعرت سارة بأن عماد قد تأخر كثيرًا فطلبته على الهاتف لتطمئن عليه.

- ألو...

- أيوة ياسارة.

عصير الكتب

قالتها غادة وهي تتأفف سرًا.

- إيه يا عماد أنت اتأخرت ليه؟ أنا قلقت عليك.

كانت غادة تخشى من ضياع هذا الشاب مرَّة أخرى عن ناظريها فردت كاذبة على سارة: أنا جاي في الطريق أهو.

أغلقت الخط وهي تواري نفسها عن الشاب حتى لا يراها فيهرب منها مرَّة أخرى.

ترددت في الدخول إلى المقهى، ولكنها سرعان ما انتبهت أنها رجل بل وسيّد الرجال أيضًا الآن، فدخلت واثقة كالطاووس ولكن على أطراف أصابعها، ثم.. !

جلست بشكل مفاجئ على الكرسي الموجود بجواره الشاب على نفس المنضدة وهي تمنحه ابتسامة المنتصر، وكأنها تخبره بأنها أصبحت أمرًا واقعًا في حياته وعليه أن يتقبل ذلك.. بل هي القدر بعينه.

التفت الشاب إليها فاضطربت ملامح وجهه وزادت دقات قلبه وجف ريقه. نظرت إليه غادة بتحدٍ، وقرَّرت داخليًا أن تعرف قِصة هذا الشاب كاملة، فالفضول عند غادة لا يقل أهمية عن الماء والهواء ومن رابع المستحيلات أن تجد شيئًا مثيرًا كهذا وتتركه دون أن تعرف قِصَّته، فلو طُلب منها أن تنظف أرضية الشارع بفرشاة أسنان أهون عندها من أن تمُنَع من هذه العادة .

حكَّت غادة في رأسها الذي بدأ يُنبت بالشعر بعد أن تركته دون حلاقة مخالفة بذلك ماكان يفعله عماد بشعره قائلة: أنت مين بقى؟

حاول الشاب أن يكون طبيعيًا، ولكن واضح جدًا أنه لايجيد فن التمثيل، فردَّ بصوتٍ متقطع:

- حضـ.. حضرتـ.. إحم إحم.. حضرتك تعرفني؟

عصير الكتب

- لا مش عارفك وعايز أتعرف.

قالتها غادة بسماجة غريبة

- آسف أنا مش فاضي دلوقت.

وقبل أن يهم الشاب بالوقوف ليغادر المكان، قبضت غادة على ذراعه وأمرته أن يجلس قبل أن تفضحه أمام الناس.

شعر الشاب بثقة هذا الرجل الذي يهدده علنا فجلس في هدوء.

- أهو كده بقى نقدر نتفاهم.. وريني اللي في إيدك بقى.

- لأ..

أجابها الشاب قبل أن تستكمل جملتها.

- بص بقى لو ماشُفتش اللي في إيدك حالًا هقوم أجمع الرجالة الحلوين دول اللي في القهوة، وهلبّسك مصيبة وأنت قاعد، ها.. تحب إيه؟

بدأ الشاب في حالة الانهيار، فأخرج يده التي كان يخفيها داخل جيب البنطلون وكأنه يعلن استسلامه لهذا الرجل الجالس أمامه. مدَّ يده إلى غادة بالشيء الذي رأته في المسجد وحاول أن يشرح الموضوع بكلمات مُبهمة ومُتقطعة لم تسمع منها غادة أي شيء.

اقتربت غادة من الشاب ونظرت إليه كثيرًا وهي في حالة حيرة شديدة، وأثناء نظرها قال الشاب:

- أنت إيه اللي جابك هنا؟

ضحكت غادة ضحكة استهزاء وأجابته بثقة:

- مين فينا اللي يسأل التاني السؤال ده؟

وقف أمامهما صبي المقهى قائلًا: تشربوا إيه يابهوات؟

أخبرته غادة بأن يحضر واحد شاي، وواحد عصير ثم استدارت للشاب مرَّة أخرى قائلة له:

- احكيلي بقى الحكاية من طقطق لسلام عليكم.

ردَّ عليها الشاب بنبرة يائسة بعد أن شعرَ أن لا مفرّ:

- طب حضرتك توعدني إن الكلام اللي هقوله يبقى سر.

أجابته غادة سريعًا:

- أيوة طبعًا هيفضل سر.

قال الشاب بتوسل:

- احلف.

- طب والله ماهقول لحد.

بعد أن شعر الشاب بصدق غادة، بدأ في سرد قصته بهدوءٍ محاولًا إقناعها، فهو كان على يقين بأن هذا الرجل المتطفل الرابض أمامه لن يصدقه، بل وقد يطلب له مستشفى المجانين.. أما غادة فكانت في حالة اندهاش وذهول في آنٍ واحد مما تسمعه.

كان الشاب يروي وغادة لا ترفع عينيها من على معصمه الذي دُق فيه صليب كبير.

سألته وكأنها وكيل نيابة يستجوب متهمًا:

- يعني أنت فعلًا كنت قاصد تخبي الصليب، وتعمدت تهرب منّي لما أخدت بالك إنى شُفته.. صح؟

- أيوة.

قالها متمتمًا بصوت يُسمع بالكاد.

- طيب وطالما أنت أسلمت ليه ماشلتش الصليب بمياه نارزي مابيحصل مع اللي بيشهروا إسلامهم؟

أجابها بثقة متناهية:

- أنا ما أسلمتش.

اندهشت غادة من رده قائلة:

- يعني أنت لسه مسيحي؟

- لأ طبعًا، أنا مش مسيحي الحمد لله.

أخذتْ نفسًا عميقًا واعتدلت في جلستها ثم قالت وهي تحاول أن تتمالك أعصابها:

- يعني أنت مش مسلم وكنت بتصلي صلاة الجمعة في الجامع، ومش مسيحي وداقق صليب على إيدك.. بقولك إيه أنت تحكيلي حكايتك إيه بالتفصيل أحسن لك.

قبل أن يبدأ في سرد قِصته قاطع صبي المقهى حديثهما قائلًا: وعندك واحد شاي وواحد عصير.. فين الشاي وفين العصيريا أستاذ؟

- عندي هنا العصيروالشاي عند الأستاذ.

أجابت الصبي سريعًا حتى يغرب عن وجهها.

توجهت بنظرها إلى فريستها الرابضة بجوارها قائلة:

- اسم الأستاذ إيه بقى؟ أنا ما اتشرفتش لحد دلوقت.

ارتبك الشاب وتلجلجت كلماته وصمت بعد أن ارتسمت علامات الحزن والحيرة على وجهه.

بدأت غادة تشعر أن هناك حكاية طويلة وراء هذا الشاب غريب الأطوار فحاولت بخبراتها الأنثوية أن تطمئنه وتجعله يفتح قلبه أكثر. وبالفعل شعر الشاب بشيء من الطمأنينة والراحة تجاه هذا الرجل الجالس أمامه فقال:

- أنا هحكيلك الحكاية كلها وأمري لله، بس أرجوك الكلام ده يفضل سِر بينا لحد ما نشوف هنعمل إيه.

****

ظلَّ سعيد يتقلب على الفراش كسمكة فوق نار حارقة، تتكالب الأفكار على رأسه ويسترجع شريط الفيديو الخاص بالمعركة التي حدثت بينه وبين عماد طليق شقيقته في ذاكرته..

(- أنا مش فاهم أنت عايز تطلقها ليه؟ هي عملت حاجة غلط؟ قالها سعيد مرتبكًا وكأنه يخشى أن يخبره عماد أن شقيقته قد فعلت ما يلحق به العار.
- لأ ماعملتش حاجة، بس بنتكم دي معقدة نفسيًّا.

أجابته غادة وهي تنظر في عين سعيد مباشرة لأول مرَّة، وكأن الفرصة جاءتها أخيرًا لتخبر شقيقها بهذا السر منذ زمن.

- معقدة ازاي يعني؟ بتشد في شعرها مثلًا؟

- هي دي فكرتك عن العقد النفسية؟

- أومال بتعمل إيه مش فاهم؟

- واضح إنها كانت بتتعامل أسوأ معاملة منكم وجاية تطلعه عليَّ.

- ليه؟ كانت بتاكل أحسن أكل وبتلبس أحسن لبس.

ردَّت عليه غادة بضحكة غاضبة:

- هي دي كل فكرتكم عن التربية؟ أنت عمرك قعدت اتكلمت معاها؟ عمرك سمعتها أو عرفت إيه بيضايقها؟كانت غادة تتكلم بأسى وألم شديدين حتى إنها أوشكت على فضح شخصيتها الحقيقة أمام شقيقها دون قصد.

- هي اشتكت لك من حاجة؟

كان سعيد متحفزوهو يسمع إجابة هذا السؤال من عماد.

- مش لازم تشتكي، في حاجات بتتحس.. للناس اللي بتحس بس.

- أنت هتقل أدبك ليه ياعماد.. تقصد إني مش بحس ولا إيه؟

- أيوة مش بتحس ولا عمرك هتحس لا بيها ولا باخواتها، أنت ربنا مش هيسيبك أبدًا على اللي أنت عملته فيهم.

قالت غادة هذه الجملة بصوتٍ عالٍ، وكأنها تتعمد أن يعلو صوتها فوق صوت أخيها.

- احترم نفسك يا عماد، أنا صابر عليك لحد دلوقتي عشان العيش والملح اللي بينا.

- أنا محترم غصب عنك..

أجابته غادة بغضب شديد، بل كانت تشعر أنها أخيرًا تستطيع أن تنفث عن غضبها أمام شقيقها بكل جرأة.. خصوصًا وهي داخل جسد عماد الضخم الذي ضاعف من هذا الإحساس لديها.

- لا أنت مش محترم..

ردَّ سعيد بهذه الجملة وهو يهم بالوقوف.

سارعت غادة بالوقوف هي الأخرى بجسد عماد الذي كان أطول وأعرض من جسد سعيد بالضعف تقريبًا. شعرت بقوة غريبة وهي تقف أمامه، بل أرادت لو تحطم شقيقها الذي كان سببًا في تعاستها وقهرها طوال حياتها.

وما إن وقفت غادة، حتى شعر سعيد بأن عماد يريد التشابك بالأيدي.. حاول سعيد أن يتمالك أعصابه حتى لا تنفلت منه، إلا أن غادة لم تعطِه الفرصة وتطاولت عليه باليد بلكمات أنثوية مبعثرة هنا وهناك، فما كان رد سعيد إلا التطاول باليد هو الآخر.. انتهزت غادة الفرصة وأن الموضوع تحوّل إلى عراكٍ لا محال، وظلت تلكمه على وجهه بقبضتها بشكلٍ لا إرادى بأعصاب مرتعشة تمامًا.

خرج عماد سريعًا من الغرفة على صوت شِجارهما، وحاول أن يُحجز بينهما وعلامات الاندهاش واضحة على وجهه وكأنه يسأل غادة داخليًا.. ليه وصّلتى الأمور لكدة إحنا ما اتفقناش على كده خالص.

"في إيه ياجماعة صلوا على النبي بس"

قالها عماد بصوت غادة الأنثوي الناعم.

أجابها سعيد وهو يريد أن يصفعها على وجهها منفثًا غضبه عليها:

- انتي تخرسي خالص، كل ده من تحت راسك.

ردَّت غاده غاضبة وهي تنظر إلى عماد مباشرة: انتي طالق ياهانم وروحي بقى اقعدي مع أهلك خليهم ينفعوكي.

قال سعيد لغادة بصوتٍ غاضبٍ وعالٍ: ادخلى لمي هدومك يابت خلينا نمشي من هنا.

اتجه عماد وهو مازال في حالة الاندهاش والحيرة إلى غرفته ليُلملم بعضًا من ملابس غادة ويرحل مع شقيقها وهو لا يعلم سبب هذا الشجار المفاجئ بالأيدي بينهما، فقد اتفق مع غادة أن يكون الشجار غير حاد، وأن يغضب هو بعدها بسبب معاملة غادة لسعيد ويرحل معه في هدوء.. أما ما حدث فكان غير متوقع بالمرَّة.

ظلَّ سعيد يتقلب على أسلاك شائكة فوق الفراش وهو يتذكر ما حدث في هذا اليوم المشؤوم محاولًا إيجاد سبب واحد منطقي لهذه المشكلة التي اختلقها عماد من لا شيء، ولكنه لم يجد مُبررًا لكل هذا الغضب الذي صدر من عماد؛ فهو لأول مرَّة يعامله بهذا العنف والتكبر بل والغِل أيضًا.

بالفعل عماد وسعيد لم يكونا صديقين، ولكن على أقل تقدير كان الاحترام متصدرًا لكل تعاملاتهما التي نادرًا ما كانت تحدث؛ فمنذ أن تزوجت غادة وهي تحاول الهروب من مقابلاتهما؛ هو ووالدتها، بل لم تقُم بزيارات أسرية إلا نادرًا على غير عادة أي زوجة حديثة الزواج. وبالتالي كانا نادرًا مايتقابل سعيد وعماد ولو تقابلا بالصدفة تكون المقابلة قصيرة جدًّا وكلها احترام ومودة من جانب عماد ومن جانب سعيد أيضًا.. ماذا حدثَ إذًا؟ هذا هو السؤال الذي كان يبحث عن إجابته سعيد منذ هذا اليوم. لو كان يعلم أن غادة هي التي كانت تتشاجر معه وهي التي كانت تلكمه في وجهه، ما كان لكل هذه الحيرة أن تحتل تفكيره.

قام من على سريره متوجهًا إلى المطبخ حيث يقف عماد يطهو الطعام.

****

"إيه؟! تبادل أرواح؟!"

قالتها غادة بعينين متسعتين من الذهول.

أجابها الشاب بنبرة يملؤها الصدق:

- أنا عارف إنك مش هتصدقني، بس هو ده اللي حصل لو مش عايز تصدق أنت حُر.

لم تكن علامات الاندهاش والذهول التي صاحبت وجه غادة، لأن رواية الشاب من عجائب الدنيا السبع.. كيف تندهش لها وهي ما زالت أسيرة هذه التجربة الغريبة هي وزوجها؟

ولكن اندهاشها كان لأن هناك على هذه الكرة الأرضية من يعاني مثلهما من تجربة أو حادث تبادل الأرواح هذا، بل يجلس أمامها صاحب التجربة بنفسه بعد أن سرد لها قِصّة أنه هو وصديقه "الأنتيم" استيقظا في الصباح منذ شهور حتى يجد كلٌ منهما نفسه داخل جسد الآخر وفي بيت الآخر أيضًا.

فمحمد ومينا أصدقاء منذ الطفولة كما هو الحال بين أسرتيهما، بالإضافة إلى أنهما يقطنان في نفس العمارة. وفي فَجرِ أحد الأيام، استيقظ محمد ليتوضأ استعدادًا لأداء صلاة الفجر، ففوجئ بأنه في شقة مينا وعلى فراشه، فتخيَّل أنه نام عنده من ليلة أمس سهوًا، وعندما توجه إلى الحمَّام ووقف أمام المرآة ليبدأ الوضوء، فوجئ بوجه مينا في المرآة، فظل يغسل وجهه بالماء عِدة مرَّات متتالية. فقد تخيَّل أن شدة ارتباطه بمينا وجلوسه طوال اليوم معه قد جعل صورته تلتصق بذاكرته حتى في المرآة.. لكن أبدًا، فكلما غسل وجهه تظل صورة مينا أمامه في المرآة بنفس حالة الصدمة التي كان عليها. ركض محمد خارج الشقة

ونزل إلى الشارع حيث كان يُجري اتصالًا سريعًا بمينا، الذي هرول إليه هو الآخر في الشارع ليحاولا جاهدين معرفة ماذا حدثَ لهما.

ولكنهما لم يصلا لأي نتيجة.. فاتفقا سويًّا على أن كل منهما يذهب إلى منزل الآخر حتى يجدا حلًا لهذه المشكلة.

- وأنت اسمك إيه بقى؟

سألته غادة بسعادة. فهي بدأت تشعر أن هذا الشاب أصبح شقيقها في المشاعر.

أجابها الشاب:

- اللي بيكلمك محمد والجسم اللي قدامك ده مينا.

صمت قليلًا ثم قال: بس أنت مصدقني يا أستاذ؟

كان صوته يدل على اطمئنانه من نظرات غادة له، فقد شعر أنه يصدق كلماته فعلًا.

- أيوة مصدقاك، وماتقوليش يا أستاذ.. قولي ياغادة.

استغرب الشاب جدًّا وقال باندهاش: غادة ازاي يعني؟!

****

بدأت سارة تنشغل على عماد فعاودت الاتصال به مرَّة أخرى:

- ألو إيه ياعماد أنت فين كل ده؟

- أيوة ياسارة.

أجابتها غادة وهي مستاءة، محدثة نفسها داخليًّا: مش وقتك خالص يا سارة..

- معلش في واحد كان بيصلي معانا تعب شوية واضطرينا ننقله المستشفى ومافيش حد معاه غيري، مضطر أستنى أي حد من أهله يجي مش عايز أسيبه

لوحده.

ردَّت سارة بطيبة قلب واضحة:

- يانهار أبيض تعب ازاي؟

- مش وقته ياسارة هحكيلك لما أجيلك. مع السلامة دلوقت.

أغلقت غادة التليفون ونظرت إلى الشاب بابتسامة صادقة، وقررت أن تحكي له هي الأخرى قِصتها، وهذا أول شخص يعرف قِصتها؛ فمِن ناحية كانت تريد أن تفضفض مع أحد، وطبعًا لم تكن تستطيع لأن أحدًا لن يصدقها وسيعتبرونها مختلة وهذا الشخص الوحيد الذي سيصدقها، ومن ناحية أخرى كانت تريد أن تجد من يعوضها عن غياب عماد شريكها في محنتها بعد غيابه ومكوثه عند أهلها وصعوبة التواصل معه، ومن ناحية ثالثة شعرت تجاه هذا الشاب بشعورٍ أخوي غريب كانت تفتقده طوال حياتها في سعيد شقيقها.

****

وقف سعيد خلف عماد دون أن يشعر وقال بصوته الأجش الذي يكرهه عماد أو أصبح كذلك: هو انتي قُلتي إيه لعماد عني؟

التفت عماد حيث يقف سعيد، وأجابه باستغراب: قُلتله إيه في إيه؟

- بقولك إيه يابت متلفيش وتدوري عليا. لما كنت قاعد مع عماد آخر مرَّة في شقتكم قالي كلام غريب زي ماتكوني اشتكيتي له منّي.

ردَّ بثقة:

- أنا ماقُلتش أي حاجة.

كان عماد صادقًا في إجابته طبعًا، حيث أن غادة لم تحكِ له من قبل عن أخيها سعيد وبشاعته تلك.

- ماشي ياغادة أنا هعرف ازاي أخليكي تتكلمي.

كانت هذه الجملة تخرج من فم سعيد بتحدٍّ كبيرٍ لغادة، فهو فعلًا يعلم كيف يجعلها تتكلم بأساليبه المتعددة.

تركها عائدًا إلى غرفته مرَّة أخرى، علّه يستطيع استجلاب النوم.

****

نظر الشاب إلى غادة نظرة تعجُب.. مختلطة بالسعادة.. مختلطة بالخوف.

اندهاش لأن هناك من يعاني مثله هو ومينا صديقه.. سعادة لأن غادة تصدقه وتشاركه مشاعره وأحاسيسه.. خوف لأن الوضع بهذا الشكل أصبح متأزمًا وخطرًا وأكيد طالما تكرَّر الحادث بهذا الشكل، إذًا ربما يكون هناك حالات أخرى تعاني.. هل هي عدوى؟ هل هو وباء جديد سينتشر في أنحاء البلاد؟ هل هو مجرَّد مرض نفسي ولا يوجد تبادل أرواح أصلًا؟

حاول الشاب أن يهرب من تساؤلاته قبل أن يجن قائلًا لغادة: ماتيجي نخرج من هنا أحسن. وأشار بهدوء إلى الجالسين حولهما في المقهى، محاولًا إقناعها أن هذا المكان غير مناسب لاستكمال حديثهما.

وافقت غادة على الفور، وظلا يسيران بجوار النيل في صمتٍ يفكر كلٌ منهما، ربما في حالته وربما في حالة الآخر، حتى.. !

قطعَ الشاب هذ الشرود الذي اجتاح تفكيرهما، موجهًا لغادة سؤالًا غريبًا: انتي روحتي للست نعمة؟

أجابته غادة على الفور: نعمة مين؟ دي بتبيع إيه؟

ردَّ الشاب بثقة: دي لولا الست نعمة كان زماني دلوقتي في مستشفى المجانين.

ثم استكمل حديثه دون أن يعطيها فرصة للسؤال مرَّة آخرى: الست نعمة دي بتعرف اللي احنا مش عارفينه.. أنا رُحت لها مرتين قبل كده واستريحت أوي لما اتكلمت معاها، وبعدين سافرتْ برة مصر ورجعت تاني أصلها عالمية.

قال هذه الجملة وهو يضحك.. ثم استطرد حديثه قائلًا: وأخدت ميعاد تاني منها والمفروض أروح لها النهارده.. تحبي تيجي معايا؟

- أنت لسه هتسأل آجي وألا لا؟ أيوة طبعا أحب أوي.. ميعادك إمتى معاها؟

أجابها بفرحة طفل صغير وهو ينظر إلى ساعة يده:

- الساعة دلوقت 2.30 وأنا ميعادي معاها الساعة 4، يعني يادوب عقبال مانروح لها. أصل مكانها بعيد شوية.

- مش مهم هروح لها ولو في آخر الدنيا، المهم أفهم إيه اللي بيحصل ده.

تحمَّس محمد لردّها، وأشار إلى تاكسي قائلًا بصوت عالٍ: آخر حلوان يا أسطى؟

كان الطريق طويلًا نسبيًا، فانتهزت غادة هذه الفرصة في طرح بعض الأسئلة على محمد لإشباع الفضول الأنثوي داخلها من جانب، و لعدم الشعور بملل الطريق من جانب آخر.

- الناس اللي أنت قاعد معاهم مريحينك؟

- مش أوي ياغادة.

عصير الكتب

- ليه؟

- متدينين أوي ولو مارُحتش معاهم الكنيسة بتبقى شغلانة.

- وأنت بتروح الكنيسة تصلي يا محمد؟

- أيوة طبعًا.

نظر إليهما سائق التاكسي باستغراب عبر المرآة لسببين؛ أولًا: عندما نطق محمد بكلمة غادة؛ فهو لا يرى أية إناث في السيارة، كل مايراه رجلان. ثانيًا: عندما سألت غادة محمد عن ذهابه إلى الكنسية وأداء الصلاة ثم ذكرت اسم محمد في النهاية، فكيف إذًا كنيسة ومحمد في نفس الوقت!

ولكن لم يلتفت إليه أحدٌ منهما واسترسلا في الحديث.

- وانتي عاملة إيه في حياتك؟

- أنا اتجوزت واحدة بعد ما أنا وجوزي اتطلقنا مؤقتًا، وهو قاعد في بيت أهلي لحد أما نشوف هنعمل إيه.

أخفضَ السائق صوت المذياع قليلًا ليتسنى له التنصت على الزبونين، ثم أخرج سيجارة من علبته وبدأ التدخين وزفرَ معها أحاسيسه المشمئزة. كان يحاول السيطرة على تصرّفاته تجاه هذين الرجلين غريبي الأطوار. فكيف يتزوج رجلٌ برجلٍ آخر، بل ويذهب الآخر إلى أهل الأول يمكث عندهم بعد الطلاق! في البداية شكَّ أنهما مخموران ولكنه وجد طريقتهما في الحديث في منتهى الاتزان والوعي.

أما غادة ومحمد فظلا منهمكين في حديثهما ولم ينتبها إلى السائق، أو إلى أنه ينصت إليهما جيّدًا، حتى إنهما لم ينتبها إلى انخفاض صوت المذياع أيضًا.

- وانتي أصلًا اتجوزتي ليه؟ وليه اتطلقتي انتي وجوزك؟

- أصل أنا مش بخلف وجوزي كان رافض يتجوز عليَّ، ولما حصل اللي حصل فكرنا إن أنا أتجوز وأخلف ويبقى كده حلينا المشكلة.

مازال السائق يتنصت إليهما وهو ينفث دخان سيجارته في ضيقٍ وقلقٍ مما يسمع.

****

شعرت سارة ببعض الملل، فظلت تتجول في أنحاء الشقة.. مرَّة تجلس في غرفة النوم، ومرَّة تدخل غرفة الضيوف تشاهد التلفاز، ثم ظلت تتجول في الشقة حتى وصلت إلى دولاب سارة، أو عماد زوجها كما تظنه هي.. فتحته علّه يحتاج إلى ترتيب أو ربما فضول منها لا أكثر.

وجدته مرتبًا ومنمقًا.. فرحت كثيرًا لأن زوجها الجديد يحب النظام والترتيب وسيريحها من عناء كبير، ولكن.. !

قبل أن تغلق الدولاب وجدت أجندة موجودة تحت مفرش الدولاب. ظهر منها جزء صغير.. رمقتها بفضول.. ترددت قبل أن تسحبها من تحت المفرش، ولكن شيطانها برَّر لها بأن عماد أصبح زوجها ولا توجد أسرار بين الأزواج، ولكن لقوة إيمانها سرعان ما تغلبت على هذا الشيطان الماكر وأغلقت الدولاب في هدوء مقنعة نفسها أن هذه أمانة ولا يجب التطفل على أسرار زوجها دون علمه أو رضاه.

أغلقت الدولاب وعادت من حيث أتت لتشاهد هذا المسلسل الكوميدي غير الكوميدي بالمرَّة.

****

وقف عماد على باب غرفة سعيد وهو خائف.. اقترب أكثر من السرير ونادى عليه بصوت متردد.. التفت إليه سعيد وعنفه لإيقاظه:

- عايزة إيه؟

ردَّ عماد بصوتٍ ظاهره الخوف وباطنه الكُره:

- الغداء جِهز يا سعيد.

- طب امشي من قدامي.. أنا هقوم دلوقتي.

قطعَ حديثهما جرس الباب الذي كان يدق. هرول عماد باتجاه الباب لكي يفتح، حتى.. !

فوجئ بمن يجذب شعره بعنف من الخلف.. التفت ليجده سعيد.

أشار سعيد إلى شعرها وملابسها قائلًا:

- انتي هتفتحي الباب كده يا(....)؟

كاد عماد أن يصفع سعيد على وجهه ليرى نافورة دماء تخرج من فمه وأنفه فيرتاح نفسيًّا، ولكنه كظم غيظه للمرة الألف.. كظم ما لن يستطيع أحد كظمه، وقال في هدوء: آسفة هدخل ألبس حاجة.

وردد داخله : أنا ..... يا ابن ال... يا... يا اللي... استنى عليا بس لما ارجع لجسمي يا...

وتوجه إلى غرفته لوضع إيشاربًا فوق شعره.

ذهبَ سعيد إلى باب الشقة ليفتح، و.. !

أبهرته بجمالها الهادئ وملامحها الطفولية وجسدها الصغير، فسعيد يحب ملامح النساء الطفولية متخيلًا أن ذلك سيكون في الطباع أيضًا.. هو عمومًا

يحب الفتاة المطيعة كطاعة الأطفال للكبار.. جميلة كبراءة طفلة صغيرة لم تبلغ بعد، وأن يكون جسدها ضئيلًا حتى تظهر قوته وهو بجوارها، خصوصًا أنه متوسط الطول يميل أكثر إلى القصر.

وهذا ما وجده في مروة صديقة غادة من الوهلة الأولى، كما أن قلبه انخلع من بين ضلوعه عندما نطقت أول جملة وهي مضطربة، فقد وجدته يقف صامتًا كالتمثال الأبله:

- مساء الخير.. هي غادة موجودة؟

قالتها بصوتٍ عذب تصاحبه ابتسامة رقيقة.

أثارهُ صوتها الناعم عندما همست، فهي تهمس لا تتكلم.. شعر أنها تُدندن مقطوعة موسيقية قد لحنتها بفمها. كان صوتها هذا الصباح عندما ردَّ عليها في الهاتف ناعمًا أيضًا لكنه لم يتخيلها بهذا الجمال أبدًا.. أيضا لم يتعرف عليها أو يراها من قبل لأنها تعرفت على غادة بعد زواجها عن طريق النادي الذي ضمها إليه عماد على عضويته.

ظلَّ سعيد صامتًا ولم يتحرك من مكانه.. استطردت كلامها:

- هي غادة هنا ولا أجيلها وقت تاني؟

وما إن سمع كلمة"وقت تاني" حتى تحرك التمثال من مكانه و أفسح لها الطريق سريعًا وهو يشير إلى غرف غادة مُجيبًا:

- أيوة طبعًا هنا.. اتفضلي.. اتفضلي.

ابتسمت مروة في خجلٍ ودخلت.

رآها عماد سابقًا مع غادة مرَّة أو مرتين فقط.. ولا يتذكر ملامحها جيّدًا، ولكن بمجرَّد دخولها عليه في الغرفة توقع أن تكون مروة التي هاتفته صباحًا.

وقفت مروة على باب الغرفة ووقف خلفها سعيد اسمًا وحالًا.

- أهلًا يامروة اتفضلي.

قالها عماد وهو يتمنى أن تكون هي مروة فعلًا، فلم يكن متأكدًا من ذلك. هرولت إليه مروة وضمته إليها وحضنته حضنًا طويلًا وكأنها تقدم التعازي لوفاة عزيز.

اضطرب سعيد جدًّا من هذا الحضن وشعر بإثارة كبيرة، وتمنى لو كان مكان غادة ولو لدقيقة واحدة، بل شعر بحقدٍ دفين من أعماقه تجاهها، فقد شعر بأن هذا الحضن الدافئ من هذا الملاك الجميل مؤكد خسارة فيها .

تحوَّل سعيد كأي منافق كاذب في مثل هذه الظروف وقال بصوتٍ هادئ حنون: - لو احتجتوا حاجة يابنات أنا قاعد برة.

نظرَ إليه عماد مندهشًا من طريقته، لكن سرعان ما فهمَ الأمر، فلا يفهم الرجال سوى الرجال.

تأكد عماد بل كاد أن يُقسم، أن مروة أعجبت سعيد، فحمد الله على ذلك حتى لا يُحرج أمامها من تصرفاته الحمقاء العنيفة.

- حبيبتي عاملة إيه دلوقتي وإيه اللي حصل؟ احكيلي..

اضطرب عماد جدًّا ولم يعلم بماذا يردّ. فكَّر للحظاتٍ ثم قال بعفوية:
- قليل الأصل.. راح اتجوز واحدة تانية.

قالها ثم ندم بعد ذلك على ماقاله بل استغرب نفسه بشدة.

ولكن هذا أول رد خطر على باله؛ فهذه الجملة هي الراعي الرسمي لهذه المواقف وتقال دائمًا عند الطلاق ليتخلص كل طرف من مسئوليته في فشل العلاقة.

- قليل الأصل؟ من إمتى؟ انتي عمرك ماقلتي على جوزك حاجة وحشة ياغادة. طول عمرك بتشكري فيه وبتقولي إن ربنا هداكي بهدية.. إيه اللي حصل عشان يعمل كده؟ أكيد في سبب.

جاء سهم الاشتياق من بعيد ورشق قلب عماد بشدة بعد سماع هذا الرد من مروة، بل تمنى لو كانت غادة موجودة بجواره الآن ليأخذها بين ذراعيه.

شعر بسعادة وحمد الله أن جملته خرجت بعفوية منه لتردد مروة على أذينه ما سمعه منها.

كان يتخيَّل أن غادة تُفضفض مع صديقاتها في كل ما يخصهما، وأن أسرار بيتهما يتداولها الناس فيما بينهم.. معذور هو لم يكن يعلم مطلقًا أن غادة تفضفض مع الورق.. تكتب كل ما في قلبها على هيئة مذكرات وقد اعتادت على هذا منذ صغرها، بسبب ضغط سعيد ووالدتها عليها وعدم وجود صديقات حولها تفضفض معهن، كما أن شقيقاتها تزوجن باكرًا ونادرًا ما يأتين لزيارتهما. واضح أنهن أيضًا يهربن من زيارة والدتهن وشقيقهن كما كانت تفعل غادة بعد زواجها من عماد.

ظلَّ يفكر في غادة زوجته وحبيبته حتى فتح سعيد الباب عليهما دون استئذان.

انتفضت مروة فزعًا وتمايل جسدها بنعومة ودلال من مفاجأة سعيد بدخوله عليهما. وضعت يديها على قلبها ولهثت بأنفاسها بصوتٍ مسموع مما زاد إثارة سعيد أكثر.

عضَّ شفته السفلى بشكلٍ مقزز، لامس مابين ساقيه بلمسة خاطفة ربما ليهدّئ شهوته، وربما ليثير شهوته أكثر، وربما ليجعل مروة تخجل فيزداد شهوة أكثر وأكثر.. هو عمومًا فجّ في كل تصرفاته حتى في لحظات رومانسيته كان فجًّا أيضًا.

استاء عماد بشدة مما فعله سعيد وقال داخليًّا: يا ابن الكلب يا (ها**..) مفيش احترام لأختك كده خالص؟

نظرت مروة إلى الأرض خجلًا، فقال سعيد محاولًا جاهدًا أن يكون رقيقًا مهذبًا:

- انتي اتغديتي يامروة؟

- لأ أنا مش بتغدى دلوقتي.

- لأ مافيش الكلام ده لازم تتغدي.. تعالي شوفي أكل صاحبتك عامل ازاي.. ماتقوليلها حاجة يا غادة.

ونظر إلى غادة شذرًا حتى تتكلم.

لاحقه عماد قائلًا:

- أيوة لازم طبعًا تتغدى معانا، أنا لسه محضرة الأكل حالًا، وجاهز على السفرة.

قالت مروة: وحياتك يا غادة مش هقدر، خليني ألحق أقعد معاكي شوية عشان ما أتأخرش.

****

بالرغم أنه يوم الجمعة والطريق خالٍ من المارة، إلا أن بُعد المسافة جعلهما يقضيان وقتًا طويلًا في التاكسي، فـ "الست نعمة" في آخر حلوان قبل الطريق الزراعي بقليل.

أما السائق فكان يقود بهدوءٍ حذِر حتى يتسنى له استرقاق السمع لإرضاء فضوله الشديد ومعرفة قصتهما.

- طب وأنت بتطمن على مينا؟

- أيوة طبعًا يا غادة، بقولك احنا أصحاب من واحنا في اللفة وساكنين مع بعض في نفس البيت.

- طيب ماجاش معاك ليه؟

ضحك ضحكة طويل ثم سألها باستنكار:

- يجي معايا الجامع؟؟ على العموم أكيد هعرّفِك عليه قريب. إنما قوليلي انتي ازاي قادرة تعيشي مع مراتك؟

قالت مبتسمة خجلًا: لا وإيه النهارده صباحيتنا، وهي قاعدة مستنياني في البيت.

نظرَ إليهما السائق للمرَّة الثالثة من المرآة، وشعر بحنقٍ وضيقٍ، ولكن هذه المرَّة، انتبه محمد لذلك فغمز لغادة ونكزها في ذراعها لكي تصمت حتى ينزلا من التاكسي. أومأت غادة برأسها وتفهمت الأمر وظلا صامتين، حتى.. !

قال السائق:

حمدالله على السلامة يا....

صمتَ قليلًا وعاد ليستكمل كلامه ساخرًا: يا أساتذة.

عصير الكتب

التف محمد حول المكان من النافذة ليتأكد إن كان المكان هو الصحيح أم لا، وعندما تأكد، أشار لغادة بالنزول وقام بدفع الأجرة للسائق، وعندما حاولت أن تدفع غادة فقال لها: عيب عليكي هو انتي مش معاكي راجل ولا إيه؟

نظر إليهما السائق وقال: أستغفر الله العظيم يارب.. يارب توب علينا من الشغلانة دي بقى.

أخذ السائق أجرته دون أن يراجعها واختفى من أمامهما بسرعة البرق.

نظرت غادة إلى محمد وانفجرا في الضحك...

فقد فهما أخيرًا ما ظنه السائق ..

****

خرج سعيد بعدما أصرّت مروة على عدم تناول الغداء معهم، وما إن خرج، حتى.. !

قامت مروة وخلعت الحجاب من على رأسها. توتر عماد لهذا التصرف، ولكن ثوان، وقامت لتتحرَّر من البلوزة التي كانت ترتديها فبدأت بفك أزرارها ببطْ ثم اتجهت ناحية الباب لتتأكد من إحكام غلقه.. زاد توتر عماد أكثر فقال لها:

- إيه اللي انتي بتعمليه ده قومي البسي.

- في إيه ياغادة الدنيا حر، إيه المشكلة؟

أجابها وهو يشيح بنظره عنها:

- خايفة سعيد يدخل عليكي.

- طيب خلاص هقوم ألبس البلوزة. بس مش قادرة ألبس الحجاب الدنيا حر أوي.

كان شعرها مائلًا للون البندقي وقد قصَّته على شكل"كاريه" طويل، فبدا عليه أنه تحرَّر بنعومته من قبضة الحجاب عليه ليتساقط على وجهها وكتفيها فيظهرهما أكثر جمالًا وإشراقة. ظهرت شديدة الجاذبية في هذا الوقت، وهذا ما جعل عماد يخاف عليها ويحرص ألا يراها سعيد بهذا الشكل، فقد يهجم عليها مثل الحيوان المفترس في أي وقت دون مراعاة لأي شيء.

التفتا هما الاثنان إلى باب الغرفة عندما فُتح للمرَّة الثانية، ولكن هذه المرَّة لم يكن سعيد هو الزائر، ولكن..!

كانت والدته.

****

زاد ملل سارة أكثر واختلط الملل هذه المرَّة بشعور القلق على عماد، ففكرت أن تتصل به لتطمئن عليه.

عندما اتصلت به، وجدته يرد بجفاء وكأنه ملَّ اتصالها المتكرِّر، وفعلًا كان هذا شعور غادة؛ فهي أصلًا لا تتقبل سارة نفسيًّا بسبب هذا الوضع الغريب، ربما لو كانت قابلتها في ظروف مختلفة لكانت صاحبتها بل واعتبرتها من أعز صديقاتها، لكن فكرة أن تكون سارة زوجتها وعليها ما عليها من الحقوق فهذا كان يؤرقها و يجعلها تشعر بتوتر كلما تحدثت إليها سارة.

أغلقت سارة التليفون وكأنها تلقت إشارة من الشيطان لتفتش في ممتلكات عماد، بل برَّرت لنفسها أن تبحث عن شيء قد يكون عماد يخفيه عنها. لحظات وكانت أمام الدولاب.. لحظات أخرى وكانت فوق السرير ممدة والأجندة التي كانت مختبئة تحت المفرش بين يديها، ثم

عصير الكتب

فتحت أول صفحة...

(لقد عاودتُ الكتابة بعد فترة انقطاع تصل إلى شهر تقريبًا بعد أن تلقيت علقة ساخنة من أخي سعيد - سامحه الله- عندما وجد مذكراتي بالصدفة وقرأها ومزقها أمامي ثم حرقها. لا أعلم لماذا يضربني على كتابة مذكراتي، المفروض أن لي الحق في تدوين كل مايحدث في حياتي، ولكن واضح أن ما ضايقه بشدة أنني كتبت عنه كل كلمة بصدق.. فهو إنسان أناني لا يحب إلا نفسه.. يتعامل معنا بقسوة شديدة أنا وشقيقاتي- هند وسمر- بالرغم أنهما أكبر منه سِنًا بكثير، إلا أنه يعنفهما على أقل هفوة تحدث منهما، وقد يصل الأمر في كثير من الأحيان إلى ضربهما، أما أنا فأكبر منه بسنة واحدة، وهو لا يعترف أصلًا بفارق السن الكبير بينه وبين شقيقاتي، فهل سيعترف بالسنة الواحدة الفارقة بيني وبينه؟ لقد كرهت حياتي حقًا. أريد أن أنتهي من تعليمى الثانوي سريعًا حتى ألتحق بالكلية وأحصل على عمل أستقل بحياتي من خلاله، ولكن هل سيتركني سعيد أفعل ذلك؟ أعصابى تنهار، أشعر أنني كائن درجة ثانية، أبغض أخي سعيد كثيرًا، ولن أسامح أمي على صمتها فيما يفعله بي أنا وشقيقاتي، بل أحيانًا يصل الأمر بها أنها تساعده على ضربنا وإهانتنا، لقد ابتعدتُ عن كل صديقاتي خوفًا من أن تتطور علاقتي بإحدى الصديقات لتأتي إلى المنزل ويهينني سعيد أمام إحداهن.

أنا سعيدة حقًا بأنني عاودت الكتابة مرّة أخرى.. لا أرتاح نفسيًا إلا عندما أفضفض على الورق، فشقيقتاي أكبر مني ولهما حياتهما، كما أنهما قريبتان أكثر لبعضهما بدوني.. لا يهم، المهم أنه لا توجد مشاكل بيننا الحمد لله، فأنا أحبهما كثيرًا، أشعر بما يشعران به، لذلك لا ألومهما على انشغالهما عني في بعض الأحيان. أنا الآن أجلس بالحمام وصوت المياه الغزير الصادر من الدش يوهم الجميع بالخارج أنني أستحم، ولكنني لا أجد مكانًا أستطيع الكتابة فيه بحُريّة إلا هذا المكان الآمن الوحيد بالعالم.. ساعدني يالله لقد سئمت حياتي والسبب هو أخي - لاسامحه الله-) السبت 2فبراير

رنَّ جرس الباب فأسرعت سارة لوضع الأجندة مكانها، والتي عرفت بعد قراءة أول صفحة بها أنها ملك لطليقة عماد.. غادة.. ولكنها تعجبت جدًّا لوجود هذه الأجندة داخل دولابه.. لماذا يحتفظ بها عماد؟

فتحت سارة الباب، فكانت والدتها هي التي أتت لزيارتها، بما إن اليوم هو صباحيتها.

- ألف مبروك يابنتي.

- الله يبارك فيكي ياماما.

- مالك ياحبيبتي، شكلك مش مطمني.

- أبدًا ياماما مافيش، المهم رنا عاملة ايه؟ سألت عليَّ؟ ونيمتك إمبارح وألا عيطت؟

- بنتك زي الفل متشغليش بالك انتي.

كانت نبرة صوتها غير مطمئنة، ولكنها حاولت غلق الموضوع بسؤالها:

- أومال فين جوزك؟

روت لها ماحدث طوال اليوم، فشكرت الأم كثيرًا في أخلاق وشهامة ونبل زوجها، ودعت لهما بالرفاء والبنين. ولم تنسَ دعاءها للمريض الذي يرافقه عماد في المستشفى الآن.

كانت سارة تتمنى أن ترحل والدتها سريعًا لكي تُكمل ما بدأته في مذكرات غادة، ولكن من الواضح أن زيارتها ستطول بعض الوقت خصوصًا لعدم وجود زوجها. حيث شعرت الأم أن عليها أن تبقى مع ابنتها حتى يعود زوجها.

****

دخلت الأم تصافح مروة صديقة غادة..

أولًا.. لتراها كما طلب منها سعيد بالخارج، ثانيًا.. لتطلب منها طلبًا غريبًا..

في الأول نظرت إلى غادة وأمرتها أن تنهض لتصنع لأخيها كوب الشاي الذي اعتاد أن يشربه بعد الانتهاء من الطعام.

فقام عماد على مضض وهو يسبّ ويلعن سعيد داخليًا قائلًا: الله يحرقك يا سعيد ويحرق اليوم اللي شُفتك فيه.. إلهي أشوف فيك يوم يا سعيد الكلب زي ما أنت موريني أيام سودا.

انتظرت الأم حتى ترحل غادة من الغرفة، ثم بدأت حديثها مع مروة:

- عجبك الوضع اللي فيه غادة ده يابنتي؟

- معلش ياطنط ده نصيب، ربنا يعوضها.

- يعني إيه نصيب؟ لا لازم تكلمي غادة عشان ترجع لجوزها.

- ازاي بس ياطنط؟ لو ماكانش عماد هو اللي يرجع بنفسه يبقى مالهاش لزمة.

- لا يامروة انتي غلطانة هي الست مننا ليها إيه غير بيتها وجوزها.. أجابتها بهذه الجملة لهدفين؛ فمن ناحية لتقنع مروة فعلًا غادة بذلك، ومن ناحية أخرى أن تجس نبض مروة في طاعتها لزوجها ستكون إلى أي حد.

- بس ياطنط عماد اتجوز.

أجابتها مروة علها تذكرها بذلك

- وماله الشرع محلل أربعة.

صُدمت مروة وشعرت أن الجدال سيكون عقيمًا مع والدة غادة، فواضح أنها من العقليات القديمة ولن يعجبها رأي مروة فوافقت مضطرة قائلة:

- إن شاء الله ياطنط.. هكلمها حاضر.

- بس انتي بسم الله ماشاء الله زي القمر، أكيد طبعًا متجوزة؟

- لأ ياطنط.

قالتها بخجل أنثوي.

- تبقي أكيد مخطوبة.

- برضو لأ.

- ازاي بقى الكلام ده؟ بقى الجمال ده كله و ما اتجوزتيش ولا اتخطبتي؟ همَّ الرجالة اتعموا ولا إيه؟

ضحكت مروة خجلًا ثم استطردت حديثها قائلة: لسه النصيب ماجاش ياطنط.

- أهو جه ياحبيبتي وإن شاء الله قريب أوي.

- تقصدي إيه ياطنط؟

- لا أبدًا ما أقصدش.. أستأذنك أنا بقى عشان أريّح ظهري شوية على السرير.

قامت والدة غادة وهي تشعر بانتصار المحاربين.

أولًا لاعتقادها أنها اقنعت مروة بإقناع غادة بالرجوع إلى طليقها والتأثير عليها.

عصير الكتب

ثانيًا لأنها علمت أن مروة غير مرتبطة.. وهذا سيسعد ابنها فلذة كبدها، فها هو ولأول مرَّة يُعجب بامرأة دون أن (يخرج فيها القطط الفطسانة).

فسعيد لا يعجبه العجب ويرى أن كل النساء مثل بعضهن.

دخل عماد وأغلق الباب خلفه جيّدًا بالمفتاح، ثم اقترب من مروة وقال هامسًا:

- كانت عايزاكي في إيه؟

- والله يا غادة مش عارفه أقولك إيه.

صمتت لحظات ثم استكملت حديثها: بصي ياحبيبتي أي أم من كتر قلقها على بنتها مش بتبقى شايفة الصورة كاملة، وهي متخيلة انك المفروض تكلمي عماد.

قالتها وهي تخشى رد فعل غادة و حزنها لما قالته والدتها.

- طيب يامروة سيبك منها، المهم دلوقتي أنا عايزة منك طلب مهم.

- طبعًا يا غادة اتفضلي.

- عايزة اتصل بعماد ومش عارفة وهنتهز فرصة إنك هنا، وأتصل بسرعة، ولو حد دخل أشغليه لحد أما أقفل معاه.

- نعم؟ هتكلمي طليقك؟ اللي صباحيته النهارده؟

وقالت في سرها: إيه العيلة المجنونة دي؟

- معلش يامروة بكرة تفهمي كل حاجة؟ بس بسرعة الله يخليكي قبل ما حد يدخل تاني.

- أوكي ياحبيبتي اتفضلي.

عصير الكتب

قالتها وعلامات الاندهاش والامتعاض لم تفارق وجهها.

هرول عماد سريعًا إلى حقيبة يده والتي تخص غادة في الأصل واستخرج منها تليفونه سريعًا، وقام بطلب الرقم.

انتظر ثواني قبل أن تجيب غادة:

- ازيك ياحبيبي؟ أنت عرفت تتكلم تاني ازاي؟

ردَّ عماد:

- أنت فين كده سامعة صوت عربيات حواليك.

- أيوة أنا في مشوار كده هبقى أقولك عليه.

- انتي بقى ليكي مشاويرك اللي معرفهاش؟ وازاي تخرجي من غير ماتقوليلي؟

قالها بغضب وبعفوية شديدة ونسي تمامًا بأمر وجود مروة في الغرفة.

نظرت إليه مروة في استغراب.. وما إن لمح علامات الاستغراب على وجهها حتى اتجه إلى الشرفة ليستكمل المكالمة سريعًا قبل أن يدخل عليهما أحد.

- هبقى أقولك بعدين يا عماد مش هينفع دلوقتي، وبعدين أنت بتكلمني ليه من شوية على إني راجل أنت في حد جنبك؟

- أيوة مروة معايا في الأوضة.

- مروة مين؟

- مروة صاحبتك.. جت زارتني النهارده لما سمعت موضوع الطلاق، وعلى فكرة سعيد أخوكي شكله أُعجب بيها.

شعرت غادة بغيرة شديدة لوجود عماد ومروة في نفس الغرفة وحدهما، خصوصًا أنها تعلم جمال مروة وجاذبيتها الشديدة.

عصير الكتب

فبالرغم من أنها أصبحت تعرف الآن أخلاق زوجها في غيابها، وأصبحت تثق فيه جدًّا، إلا أن غيرتها كانت غيرة أنثوية بالفطرة لا يد لها فيها، ولكن ما أثار دهشتها إعجاب سعيد بها، مما جعلها تفكر سريعًا في كيفية الاستفادة من هذا الموضوع.

تجاهلت غادة وسوسة غيرتها ثم ردَّت سريعًا: عماد أنا عندي فكرة حلوة أوي، ممكن نستفيد جدًّا بوجود مروة معاك وخصوصًا إن سعيد حبها ومش هيتضايق لو جت كل يوم.

- فكرة إيه؟

- لا هقولك بعدين.. أنا هتصل بمروة وأقابلها وهقولك هنعمل ايه.. بس أنت فهمها ومهد لها إني هقابلها

- طب انتي فين ياهانم أصلًا دلوقت؟

- هقولك يا عماد والله على كل حاجة.. سلام دلوقت.

- ماشي يا غادة. ماشي .. سلام.

خرج عماد من الشرفة، ليجد مروة مازالت في حالة اندهاش واضحة وكأنها تنتظر انتهاء المكالمة لتفهم الأمر.. قبل أن تسأل أو تستفسر عن أي شيء، شرح لها عماد أن هناك مشكلة بسيطة بينه وبين عماد كانت سببًا في الطلاق، وطلب منها أن تجلس مع عماد لتفهم منه الأمر جيّدًا.

قامت مروة وهو يتحدث إليها لترتدي الحجاب وتستعد للنزول. وعندما سألها عن سبب استعجالها قالت إنها تأخرت وستأتي لها في يوم آخر.

فقد بدأت مروة فعلًا التعجب مما يحدث، فكيف تقول غادة منذ قليل أن عماد قليل الأصل، والآن تقول أن هناك مشكلة بسيطة بينهما بل تطلب منها أن تقابل زوجها؟

نفضت مروة هذه الأفكار عن رأسها مؤقتًا وأخبرت غادة بأنها ستقابل عماد بالفعل لتعرف منه ملابسات الموضوع علها تكون سبب في رجوع المياه إلى مجاريها مرَّة أخرى كما يقولون. شكرها عماد جدًّا وذهب معها حتى باب الشقة ليودعها.

- إيه ده انتي ماشية؟

قالها سعيد بخيبة أمل.

أجابته مروة مبتسمة: أيوة.

- ليه كده بس ما انتي قاعدة شوية.

- معلش اتأخرت على البيت وهبقى أجي تاني إن شاء الله.

- طب أنا هوصلك.

- لا معلش مش هينفع.

كانت نظرات الإعجاب تفضح سعيد، بل كادت نظراته أن تلتهمها التهامًا. ودعها وهو يتمنى داخليًا أن يكون هذا المخلوق الجميل، الرقيق، الضعيف ملكًا له في أقرب وقت ممكن.

أغلق عماد باب الشقة واتجه إلى غرفته، ولكن شعر أن سعيد يسير خلفه وكأنه يريد أن يقول شيئًا فضحك داخليًا منتظرًا حديثه الذي يعلمه مسبقًا.

- انتي مصاحبة مروة دي بقالك قد إيه؟

- من بعد جوازي على طول.

- عرفتيها منين؟

- من النادي.

عصير الكتب

- عندها كام سنة؟

ردَّ عماد بذكاء وذكر سِن أقل من عُمر سعيد بثلاث سنوات، بالرغم أنه لا يعلم أصلا عُمر مروة، ولكنه قال ذلك حتى يُهيئ لسعيد الجو تمامًا لقبول الفكرة أكثرويستطيع أن يستفيد من إعجاب سعيد بمروة المرحلة القادمة.

خرج سعيد من الغرفة وهو في حالة من السعادة والانتشاء، بل ولأول مرَّة لم يتحدث مع عماد بشكل فظ منذ انتقاله إلى العيش معهم؛ فهو يشعر الآن أن مصلحته مع شقيقته، صديقة أجمل و أرق مخلوق على وجه الأرض. وهذا ما جعل عماد يشعر بارتياح شديد وأن الأيام المقبلة قد تكون أفضل من ذي قبل، بوجود مروة في حياتهم.

****

وقفَ محمد وغادة في مدخل العمارة ينتظران المصعد، فشقة الست نعمة في الدور العاشر. هبط المصعد ودخل محمد وغادة، ثوانٍ ووقف المصعد.

المساحة في كل دور من العمارة كبيرة تتسع للعب الأطفال فيها بسهولة، وبالفعل كان هناك حوالي سبعة أطفال يلعبون ويجرون خلف بعضهم حتى أنَّ واحدًا منهم اصطدم بجسد غادة دون قصد وهو يجري فوقف أمامها معتذرًا لما صدرَ منه.

جثت غادة بجسدها الضخم على ركبتيها أمام الطفل وابتسمت له ابتسامة حانية، ثم طبعت قُبلة فوق رأسه وملّست بيدها على شعره الناعم. تأثر محمد لهذا الموقف بشدة، وخصوصًا بعد أن أخبرته غادة أنها لا تُنجب وأمنيتها وحُلم حياتها هو الإنجاب ولو طفلًا واحدًا. لمعت عين محمد بالدموع، فهو أصلًا شخصية حنونة جدًّا وشديدة التأثر بأقل المواقف المؤثرة وقال لها:

- ربنا يرزقك ياغادة.

- ابتسمت له ابتسامة صادقة، صافية وأمنت خلفه من قلبها: اللهم أمين.

وقفا أمام باب شقة الست نعمة، ودقَّ محمد الجرس عدة مرَّات.

فتحت سيدة مسنة الباب ورحبت بهما بابتسامة بسيطة، ثم أفسحت لهم الطريق للدخول.

كانت غادة مُرتبكة بعض الشيء، فلأول مرَّة تذهب إلى مكان غريب دون عماد سوى الشركة فقط.. إلا أن وجود محمد كان يطمئنها نسبيًا.

سبقها محمد بخطوتين ليُطمئنها أكثر، على اعتبار أن هذا المكان قد أتى إليه من قبل ويعرفه من الداخل. وقف أمام السيدة المُسنّة التي تركتهما بعد أن فتحت الباب لتجلس على مكتب متواضع في صالة الشقة وبجانبها ارتصَّت الكراسي الجلدية السوداء والتي جلس عليها الوافدون إلى الست نعمة.

أخرج محمد من جيبه عشرين جنيهًا وأعطاهم للسيدة المُسنّة، فقطعت ورقة صغيرة من رزمة ورق أمامها وكتبت عليها رقم (20) ثم ناولته الورقة.

كانت غادة تتابع في صمتٍ مايحدث، وتلتفت حولها تتفحص أوجه الموجودين بالشقة وتتشبث بطرف كم محمد كعادتها الطبيعية مع عماد عندما يتغلب عليها القلق.

****

وقفَ مينا في شرفة منزل محمد يرتشف كوب الشاي ويتابع المارة في الشارع، حتى وجد من يضع يده على كتفه دون سابق إنذار.

التفت سريعًا خلفه ليجد والدة محمد تقف مبتسمة له وهي تمد يدها بالمصحف وتقول:

- النهارده الجمعة، يلا اقعد اقرأ سورة الكهف يا ابني.. كفاية إنك مانزلتش صليت الجمعة.

- ما أنا كل يوم جمعة بنزل ياماما، مش شغلانة هي يعني.

- أستغفر الله العظيم.. هو أنت بتمنّ على ربنا بصلاتك؟

- لأ طبعًا أنا مين أصلًا عشان أتطاول على الرب اللي غامرنا كلنا بحبه ورعايته.

أجابته ممتعضة:

- من كترما أنت لازق لمينا وانت كل كلامك بقى زيه بقالك كام شهر.

ارتشف رشفة أخرى من كوب الشاي و سألها بلا مبالاة:

- ماله مينا بقى؟

- زي الفل سواء هو أو أهله وأنت عارف دول عِشرة سنين، بس يا ابني احنا مسلمين ولينا دينّا، وهمَّ مسيحين وليهم دينهم، وكل واحد له طريقة كلامه.

- فكك ياست الكل، مش بالكلام صدقيني بالإيمان اللي بيملا قلوبنا وبمدى حبنا لربنا وتعلقنا بيه ويقينّا إنه موجود جنبنا في كل وقت عشان يرعانا.

أخذه الحماس فاستكمل حديثه: يعني مثلًا في مسلمين بيصلوا ويصوموا ويحجوا، وفي مسيحيين مش بيفارقوا الكنيسة بس قلوبهم فاضية من حبهم لربنا ومش مقدرين اللي عمله عشانا.

- هو مين ده اللي عمل عشانا؟ وعمل إيه؟

طبعًا مينا كان يقصد المسيح وصلبه وآلامه، ولكنه سرعان ما غيَّر مسار الموضوع بطريقته الكوميدية المعتادة؛ فبالرغم من أن محمد ومينا أصدقاء الطفولة إلا أن لكل منهما شخصيته المُستقلة تمامًا.

فمحمد شخصية رزينة ورومانسي جدًّا وكتوم بعض الشيء.. أما مينا فأكثر ما يميزه خفة ظله والجو الجميل الذي يبثه في أي مكان يتواجد به، كما أنه يمتلك نقاءً داخليًا قلما يوجد داخل أحد.

أما أسرة كل منهما فتتميز بالتدين المفرط، ولكن..!

بالبرغم من صداقة الأسرتين القوية، إلا أن كل منهما كان يعتز بديانته جدًّا ولايحبذان الكلام في الدين أبدًا؛ فكل منهما يرى أن الدين لله والوطن للجميع، وقد أراحهما كثيرًا هذا القرار وكانا يكتفيان بالمعايدة والتهنئة في الأعياد والمناسبات الدينية.

- بقولك إيه ياست الكل، أنا هطلع شوية لمينا أقعد معاه، الناس اللي فوق دول وحشوني أوي.. طبعًا كان يقصد والده ووالدته.

- يعني مش هتقرأ سورة الكهف؟

- انتي مش قرأتيها؟

- أيوة الحمد لله.. قرأتها الفجر.

- خلاص أنا وأنت واحد ياجميل.

ثم قام بغمزها بإصبعه في جنبها، فانتفضت مرَّة واحدة.

ضحك بصوتٍ عالٍ ثم قال: أيوة بقى.

عصير الكتب

- اختشي ياواد قولتلك مية مرَّة قبل كده بلاش الحركات اللي أتعلمتها لنا على كبَردي، ماكنت عاقل يا ابني إيه اللي حصلك.

تذكر مينا فورًا وصاية محمد له بألا يقوم بأفعاله الصبيانية مع والدته وأخته.

بالفعل لم يلمس أخته أبدًا ولم ينظر إليها، احترامًا لصديق عمره. أما والدة محمد، فكان لا يستطيع أن يلتزم بوعده له طوال الوقت؛ فهو كان يحبها كثيرًا كوالدته تمامًا. أما والدة محمد بالرغم من أنها كان معتادة على طريقة مينا صديق عماد في التهريج.. فهو وُلِد على يديها وساعدت والدته في تربيته كما ساعدتها والدة مينا في تربية محمد، إلا أنها تعلم طريقة محمد في المعاملة جيّدًا، فهو خجول ويتكلم معها باحترام شديد.. لذلك فهي في الستة شهور الأخيرة كانت تتعجب كثيرًا لتصرفات ابنها، لكنها اعتادت نوعًا ما طريقته في المعاملة رويدًا، بل في بعض الأحيان كانت تحبها وتريدها عندما يكون مزاجها سيئًا، فمينا لديه مقدرة كبيرة على استبدال مزاج أي شخص من السيء إلى الممتاز بكل بساطة وسهولة.

- لما أخلص الغدا هندهلك تنزل على طول.

- انتي بس قولي جزر وهتلاقيني جوة طبق السلطة اللي بتعمليه.

- وأنا هقطعك فيها قريب إن شاء الله.

كان مينا يسير باتجاه الباب بعد أن قالت والدة محمد هذه الجملة، فظل يدندن.. قطّعني حتت وارميني للقطط.. وهو يتمايل بجسده، ثم أصدر من فمه ضحكة رقيعة كالراقصات.

- بس ياواد اتلم ياقليل الأدب.

صاحت فيه متصنعة وهي تداري ابتسامتها، فهي طوال الوقت تكتم ضحكتها لتظهر بمظهر الأم الوقورة.

أما مينا، فلا تفرق معه هذه الأمور كثيرًا، سواء ظهرت هي بمظهر الأم الوقورة أو لا، فهو لايغيّر طريقته في التعامل وخصوصًا أنه يحبها.

وضعَ يده على فمه متقمصًا دور صبي الراقصة ثم قال: حاضر يا أبلتي هتلم أهو.

مجرَّد أن رآها تركض خلفه لتضربه كما تفعل عندما ينفذ صبرها معه، حتى ظل يقفز كالكُنغر إلى أن وصل لباب الشقة وأغلقه خلفه سريعًا، وظلَّ مثبّتًا يده بمقبض الباب من الخارج حتى لا تستطيع فتحه فتوسعه ضربًا.

****

همستْ غادة في أذن محمد لتسأل عن سبب وجود هؤلاء الأشخاص، وهل جميعهم يعانون من تبادل الأرواح أم لا، فأجابها محمد بأنه لايعلم.. فعندما حضرَ المرَّة السابقة من شهور لم يكن أحد موجود بالشقة، فواضح أن الحالات وقتها كانت قليلة وكانت تأتي وترحل دون أن تراها باقي الحالات.. أما الآن فواضح أن الحالات ازدادت جدًّا ولا يعلم من فيهم يعاني مِن تبادل أرواح ومَن لا.

جلست غادة ووقف بجوارها محمد لوجود كرسيٍّ واحدٍ خالٍ..

جالت بنظرها بين الجالسين تتمنى أن تكتشف وحدها من مِن الجالسين يعاني من تبادل الأرواح ومن لا.

كان هناك رجل مسن يجلس على كرسي وبيده "كيس شيبسي"، وتجلس بجواره سيدة صغيرة في العقد الثالث تقريبًا من عمرها، فكانت أحيانًا تنهره وأحيانًا أخرى تهمس في أذنه وكأنها تلقي عليه تعليمات معينة يجب أن يفعلها.. أما الرجل فكان يومئ رأسه بالموافقة أحيانًا وبالرفض أحيانًا أخرى. كان يأكل شرائح البطاطس ثم يلعق أصابعه بعد كل شريحة يأكلها.

توقعت غادة أن هذا الرجل ما هو إلا طفل لم يتجاوز الخامسة من عمره وأن من تجلس بجواره هي والدته، ولكنها ظلت تفكر.. أين روح هذا الرجل؟ هل هي داخل جسد طفل صغير؟ ولما لم يأتِ هو ويظل هذا الرجل المُسن في منزله؟ هل الروح هي من تتحكم بالجسد أم الجسد هو من يتحكم بالروح؟ روادتها أسئلة لاحصر لها.. تركت هذا الرجل وشرائح البطاطس وأكملت جولتها بين الجالسين...

****

ظلَّ مينا يدق على الباب وكأنه يعزف لحنًا شعبيًا عليه، وعندما فتحت والدته الحقيقة انحنى بشكلٍ مسرحي وكأنه ممثل انتهى حالًا من عرض دوره على المسرح وينتظر تصفيق حار من المشاهدين .

- أهلًا يامحمد ازيك تعالى ادخل ياواد.

- أهلًا أهلًا أهلًا بأعز الحبايب.. أهلًا..

كان يردد هذه الأغنية وهو يصفق بيديه.

ضحكت والدة مينا وأفسحت له الطريق لكي يدخل.

عصير الكتب

- وحشتيني ياست الكل.

- صدقني أنت كمان يامحمد، وبعدين ما أنت كنت هنا امبارح ياواد لحقت أوحشك يابكاش.

ردَّ عليها وهو يغني: بتوحشني وأنا وياك بتوحشني..

بعد أن أغمض عينيه متقمصًا لشخصية شيرين المطربة.. ثم وبدون سابق إنذار يتحول إلى موضوع آخر تمامًا كعادته ويسألها: أومال فين مينا بيه؟

- راح النادي من بدري يلعب رياضة.

أجابها بضحك كبيرة: أيوة أيوة، أنا عارف الرياضة اللي بيلعبها. ثم قام بتقليد المصليين.. يركع ثم يهم بالوقوف سريعًا.. فعلها ثلاثة مرَّات تقريبًا.

مينا لم يكن يكترث بالأديان، لا الدين المسيحي ولا الدين الإسلامي، وإن كان يحب المسيح حُبًّا خاصًا، وكان دائمًا يسخر من الجميع، ولكن بعفوية شديدة دون أن يتعمد الإساءة.. هذه هي طبيعته..

فمن يراه من المسلمين يحسبه مسلمًا لسخريته على المسيحيين، ومن يراه من المسيحيين يظنه مسيحيًّا بسبب سخريته على المسلمين. عكس محمد الذي كان متشددًا بعض الشيء ومتحيّزًا لدينه الإسلامي، وكثيرًا ما كان ينهر مينا على طريقتة في السخرية من المسلمين فيكون رده عليه.. يا ابني أنا لا مسلم ولا مسيحي أنا إنسان، أنا لاديني..

بالرغم من حُب مينا للمسيح والصليب كان لايفارق رقبته، إلا أنه كان شخصية مزدوجة غريبة يشعرك دائمًا أنه لا ديني فعلًا، ولكنه في النهاية وفي كل الأحوال شخصية مرحة ودودة يحمل من صفات أبناء البلد شهامتهم وجدعنتهم.

لم تفهم والدة مينا ما يقصده، فأطاحت بيديها وهي تبتسم له بلا مبالاة، ثم دعته للجلوس حتى يأتي مينا.

- بقولك إيه ياماما، أنا عايز أكل النهارده من إيدك، وحشني أكلك بصراحة.

لم تتعجب والدة مينا من كلمة ماما التي قالها، فمينا كان دائما يقول كلمة ماما أو ست الكل على والدته ووالدة محمد في نفس الوقت. عكس محمد الذي كان دائمًا يقول(طنط) لوالدة مينا كما كان يسبقها دائمًا بكلمه حضرتك، وهذا ما جعله يعاني كثيرًا في بداية تبادل الأرواح التي أصُيب بها هو ومينا، حتى اعتاد على كلمة ماما، ولكن لم يستطع أن يحذف كلمة حضرتك من حديثه دائمًا مع والدة مينا والتي أصبحت والدته حاليًا، حتى أنها كانت تتعجب كثيرًا لأخلاق ابنها التي تبدلت، فقد كانت سعيدة وحزينة في نفس الوقت.. سعيدة لاحترامه لها دائمًا واحترام كل ماتقوله وتنفيذه بحذافيره.. وحزنها لأنه أصبح جادًا وملتزمًا أكثر من اللازم، فلا يمزح ولا يشاكسها كما كان يفعل من قبل.. إلا أنها كانت تترجم هذه التصرفات وتبدُّل الأحوال هذا إلى أنه سن ما بعد المراهقة وطبيعي أن يكون هناك تغيُّر في شخصية المراهق بعد أن ينضج، فوالدة مينا كانت مثقفة إلى حدٍ كبير، وكانت تحب الاطلاع دائمًا على كل شيء.. وعندما وجدت ابنها يتصرف بهذا الشكل بحثت واستشارت حتى علمت أن هذا التغير طبيعي وأن عليها أن تتجاوب مع الموقف وتتصرف بحكمة حتى لاينفلت منها ولدها.

- عنيا ياحبيبي، شوف عايزني أعملك إيه وأنا عملك بالرغم أن الساعة 4 بس اللي هتطلبه هيتعمل.

- إذا كان كدة، أنا نفسي في مكرونة بالبشاميل.

- خلاص أعملك أنت مكرونة عادية وأعمل لمينا مكرونة بالبشاميل صيامي، ما أنت عارف بقى احنا صايمين وهو بيموت فيها مش هيقدر يمسك نفسه لو شافها.

- بصي بقى صيامى أو شيرازي أنا عايز أكل مكرونة بالبشاميل النهاردة.

- خلاص هقوم أخلي البواب يجبلي لبن وبيض.. ما أنا مش بدخلهم البيت في فترة الصيام، وهعملك حالًا.

****

رأت فتاة قبيحة جدًا تجلس في آخر الطرقة تواري وجهها عن الجالسين وتبكي بين الحين والآخر.. تعجبت غادة لمنظرها وكعادتها لبَّت نداء فضولها وذهبت إليها، وبدأت معها حوارًا.. بدأته بشكلٍ غريب مع اندهاش محمد لما تفعله غادة.

****

رنَّ جرس التليفون، فالتقطه عماد من على المنضدة المجاورة للكرسي الذي كان يجلس عليه، أما سعيد فكان مستلقيًا على الأريكة المجاورة للكرسي.

نظرَ عماد إلى الشاشة ليجد اسم مروة، فتعمَّد أن ينطق اسمها بصوتٍ عالٍ، ربما ليعرف رد فعل العاشق الولهان سعيد، وربما ليزيد لهيب شوقه أكثر، وقد يكون بداية انتقام منه باستخدام مروة لترويضه وتأديبه.

انتفض سعيد من على الأريكة بمجرَّد سماع اسمها، بلع ريقة بصعوبة ودقات قلبه قد تكون مسموعة لعماد.

- ألو ازيك يا مروة، إيه؟ نسيتي ساعتك عندي؟ طب استني كده هقوم أشوفها.

قام سعيد خلفه كظله، دخل عماد الغرفة ولمح الساعة بالفعل على التسريحة فردَّ عليها: أيوة يامروة موجودة فعلًا. ماتقلقيش هشيلهالك في دولابي لحد لما تيجي.

صمت عماد قليلًا مستمعًا لما تقوله مروة ثم رد عليها:

- طب أعمل إيه يامروة بس؟

شعر سعيد من رد شقيقته أن مروة قد تضايقت، فخطف التليفون من عماد دون استئذان كعادته وتحدَّث معها.

- ازيك يامروة، أنا سعيد.

- ازيك يا سعيد.

كلما سمع صوتها كان جسده ينتفض، فبالرغم من أنه لم يتعرَّف عليها إلا من سويعات، إلا أن الحب قد تمكن من قلبه.

- مروة أنا هنزل أجيبلك الساعة لحد عندك. ياريت بس لو تقدري تجيلي في أي مكان قريب من بيتك.

- لأ شكرًا ياسعيد مش عايزة أتعبك معايا.

- لأ ماتقوليش كده عشان ما أزعلش منك.. انتي تعبك راحة.

سألها عن مكان بيتها، فأخبرته واتفقا على مكانٍ قريب منه يتقابلان فيه.

- أوك ياسعيد أنت قدامك قد إيه وتيجي؟

- هلبس وأنزل هوا، وبعد إذنك هاخد رقمك من غادة عشان قبل ما أوصل أكلمك تنزلي.

قال هذه الجملة بخبثٍ شديدٍ، وقد شعر عماد بخبثه وشعر أيضًا أن خطة غادة بدأت في النجاح.

- أوكي ياسعيد ميرسي أوي.

قالت هذه الجملة وكأن كل حرف فيها يعزف سيمفونية موسيقية منفردة.

ركضَ سريعًا إلى الحمَّام. حلق ذقنه في لمح البصر، ثم اتجه إلى غرفة نومه بدَّل ملابسه في سرعة البرق.. رشَّ عطرًا على كل أنحاء جسده.

تعمَّد أن تراه بشكل آخر غير الذي رأته عليه في المنزل.

حدث المشهد كله في دقائق معدودة وكأنك تشاهد فيلمًا لشارلي شابلن، أما عماد فروادته أحاسيس مختلطة.. كان يريد الضحك بصوتٍ عالٍ، وكان سعيدًا جدًّا لما وصل إليه سعيد من مشاعر حُب بدّلته، فها هو سيسهر الليل بطوله يسمع عبد الحليم حافظ ويبتعد عنه قليلًا، كما أنه سيتذوق من لوعة الحُبِّ وعذابه وتمنع مروة عنه ودلالها الزائد.

****

عندما ذهبت غادة إلى الفتاة واقتربت منها أكثر، وجدتها تزداد قبحًا من قريب، فحاولت أن تسيطر على مشاعرها قبل أن تظهر على وجهها علامات الاشمئزاز فتحزن الفتاة. اقتربت غادة من أذن الفتاة بجسدها الرجولي وهمست قائلة: تبادل أرواح؟

وكأنها "ديلر" يعرض على زبائنه مخدرات (ترامدول يابيه؟)

اندهشت الفتاة من جرأة هذا الرجل عندما اقترب منها، ولكنها سرعان ماتبدل ملامح وجهها بمجرَّد أن سمعت جملة تبادل أرواح هذه.

كان محمد يراقب المشهد من بعيد مراقبة حذرة، فقد يضطر إلى التدخل في أي وقت إذا قامت الفتاة ونهرت غادة، ولكن بعد أن رأى ملامح الفتاة في البداية تدل على اندهاشها المختلط ببعض الغضب سرعان ما تبدل إلى ملامح اطمئنان، عندما قامت غادة بالهمس مرَّة أخرى في أذنيها، ثم تحول سريعًا إلى الدهشة والتعجُّب مرَّة ثالثة، ولكن هذه المرَّة كان ممزوجًا ببعض علامات الرضا.. كان يتحرّق شوقًا لمعرفة مايدور بينهما، ولكنه أبى ذلك أيضًا وجلس على كرسي غادة التي تركته منذ قليل يراقب مايحدث من بعيد.

"ماتقلقيش أنا كمان زيك"

همست بها غادة في أذن الفتاة.

اندهشت الفتاة جدًّا وغضبت بعض الشيء، فمهما كان لايجب أن يقتحم رجل فتاة بهذا الشكل الجريء والفج في آنٍ واحد حتى لو كان يعاني من شيء معيَّن مثلها.

"وأنا بنت على فكرة"

همست بها غادة عندما وجدت الفتاة ستبدأ في غضبها.

هنا فقط بدأت الفتاة في الاطمئنان فعلًا، ولكنه اختلط بعلامات الرضا، فمهما كان ماتشعر به الآن هناك من يشعر بما هو أسوأ منها.

ظلَّ محمد يراقب الموقف من بعيد وتعجَّب جدًّا عندما فتحت الفتاة حقيبتها دون أن تنطق بكلمة واحدة، ثم استخرجت منها شيئًا لم يُميزه جيّدًا وأعطته لغادة.

****

رنَّ تليفونه المحمول فأخرجه بحركة كوميدية، ثم ألقاه إلى أعلى بيدٍ ليلتقطه سريعًا باليد الأخرى.. نظرت إليه«تريزة» لتتحسر على أيام شقاوة ابنها، فها هو محمد يذكّرها بهذه الأيام قبل أن يتبدل ابنها مينا إلى طريقته الجادة وخجله الزائد وابتسمت بحسرة.

كانت والدته هي المتصلة، فردَّ عليها:

- أيووووة يا ماما.

- انزل عشان تتغدا.

- لا أنا هاكل هنا.

- ياواد أنا مش قولتلك هحضر الغدا وأندهلك.

- انتي عاملة مكرونة بالبشاميل؟

- لأ عاملة سمك.

- خلاص اعملي مكرونة بالبشاميل وأنا أنزل.

- انزل ياواد بلاش دلع فارغ.

أعطى التليفون لوالدته الحقيقية وقال لها هامسًا: قوليلها انتي إني هتغدا هنا.

- أيوة يا«عيشة»، نطقت اسم عائشة هكذا كما ينطقه أغلب المصريين.. سيبي الواد ياكل المكرونة اللي بيحبها أنا عملاها له مخصوص.

- أيوة ياتريزة ازيك ياحبيبتي.. ماشي عشان خاطرك انتي بس.

- تسلمي لي ياحبيبتي، وابقي اطلعي يا أختي شوية ده أنا بقالي يجى أسبوع ماقعدتش معاكي.

- طب ماتنزلي انتي.

- عنيا ياحبيبتي هنزلك بالليل شوية.

- تشرفي وتنوري ياحبيبتي، هستناكي إوعي ماتنزليش.

مجرَّد أن سمع مينا موافقة والدة عماد على تناوله الغداء بمنزل تريزة حتى ظل يرقص بحركات كوميدية وتريزة لم تنهِ المكالمة.. فأشارت له بأن يكف عما يفعله حتى تستطيع أن تنهي المكالمة دون أن تضحك، ولكن هيهات، فكان يزيد من حركاته حتى إنه مسك بذراعها وظلَّ يتمايل وكأنه يرقص معها "سلو" على أغنية رومانسية.

****

وقف سعيد حيث اتفق مع مروة يلتفت حوله كل لحظة. ينتظرها وهو يعدل من قميصه، ثم يعدل من هندام تسريحته، وينظر على حذائه ليتأكّد أنه لامع كما هو،

حتى.. !

رآها من بعيد تهرول في المجيء.

- آسفة ياسعيد اتأخرت عليك.

- ولا يهمك أنا عندي استعداد أفضل واقف لحد بكرة.

ضحكت بنعومة، فقد شعرت من أول دقيقة دخلت فيها منزل غادة أن سعيد أُعجب بها، ولم تبالِ لهذا، فهي معتادة على إعجاب رجال كثيرين بها منذ اللحظة الأولى، بعد أن شكرته مدَّت يديها لتتناول الساعة، فمدَّ يده ولمس يديها. استغربت جدًّا لجرأته، وقالت له:

- الساعة بعد إذنك.

- أيوة طبعًا اتفضلي.. ثم استطرد حديثه قائلًا: أنا كنت فاكرك بتسلمي عليَّ، قالها وبراءة الأطفال في عينيه.

شكرته ثم همّت بالرحيل .

- إيه ده.. إيه ده؟ خلاص كده؟

قالها وهو يمط شفتيه اعتراضًا.

أجابته بنبرة جافة: أيوة خلاص، هو في حاجة تاني؟

- لأ خالص مافيش أنا بس كنت بقول نشرب حاجة ساقعة يعني وكده.

- حاجة ساقعة؟ نظرت إليه باشمئزاز قائلة: لا آسفة جدًّا، لازم أمشي حالًا.

بالرغم من جفائها في المقابلة إلا أن مشاعره تجاهها لم تقلّ سنتميترا واحدًا، بل زادت أكثر، خصوصًا أنها قد ارتدت بنطلونًا جينز و"تي شيرتا" أبيض بدت فيه كالملائكة بوجهها الطفولي البريء، فرآها في هذه المقابلة فاتنة أكثر من ذي قبل. نظر إليها في حسرة ووافق على الرحيل، فليس أمامه حل غير الموافقة.

فهي ليست غادة أو سمر أو هند شقيقاته اللتين يتحكم بهما أو يجبرهما على فِعلٍ معين.. هي حتى الآن ليست تحت سيطرته، ولكنه في قرارة نفسه كان يتوعد لها داخليًا عندما تكون تحت قبضة يده.

لوّحت له بيديها بعلامة السلام ورحلت!

ظلَّ واقفًا يتابعها وهي تسير لآخر الشارع حتى اختفت تمامًا من أمام عينيه.

****

التقطت غادة الصورة التي ناولتها إياها الفتاة. نظرت إليها وهي لاتصدق ماتشاهده.

فتاة بيضاء كالثلج.. عينان زرقاوان.. شعر أصفر حريري كشلالات ذهب.. شفتان تبدوان كالفروالة في تمام نضجها.. أنف صغيرة كحبة النبق.

الصورة كاملة كأنها مرسومة بعناية بالألوان الزيتية.

سألتها غادة باستغراب:

- إيه ده؟ مين دي؟

أشارت على نفسها وقالت"مي".

كانت تقصد نفسها بالإنجليزية.. قالتها بحسرة وحزن.. سقطت دمعة من عينيها فمسحتها سريعًا بطرف منديلها.

صدقتها غادة على الفور، فالوضع الذي تمر به الآن يجعلها تصدق أي شيء في الدنيا، فها هي داخل جسد عماد بكل سهولة ويسر، فلماذا لاتصدق ماتقوله الفتاة، ولكن..!

فضولها الكبير بالطبع جعلها تهجم على الفتاة بأسئلتها المعتادة.

- وجسم مين اللي انتي جواه ده؟

- جسم رباب بنت البواب بتاعنا. كانت كل جملة تقولها الفتاة تقولها بحسرة وألم، وكأن قلبها يعتصر مع كل كلمة تنطقها.

- وهي فين دلوقتي؟

- دي قصة طويلة شوية.

- أنا معاكي للصبح، بس تعالي نخرج برة في الطرقة عشان تتكلمي براحتك. وقبل أن يهما بالخروج من الشقة.. !

نادت السيدة المسنة على رقم (15) والذي كان يخص الفتاة القبيحة أو الفائقة الجمال. اعتذرت الفتاة من غادة وهرولت إلى غرفة الست نعمة. نظرت إليها غادة في حسرة، فالفضول قد يقتلها وهي بالداخل، ولكنها تحاملت على نفسها وأخبرتها انها تنتظرها هنا لتسمع قِصتها عندما تخرج. وافقت الفتاة على الفور وهي تسرع للدخول قائلة: أوكي أوكي..

أشار إليها محمد بأن تأتي سريعًا.

كادت أن تنسى أمر محمد وأمر وجوده هنا من فرط فضولها لمعرفة قصة الفتاة، فذهبت إليه وهي تعلم أنه يريد معرفة مايحدث وقد أخبرته بالموضوع وأنها تنتظر الفتاة لتعرف قصتها كاملة.. ابتسم محمد ابتسامة عريضة، فبدأ يعلم أن غادة فضولها كبير جدًا، فقد جربه هذا الصباح في المسجد وفى المقهى وفي التاكسي وها هي الضحية الثانية تقع في يديها، فأومأ برأسه بابتسامة عريضة وصمت.

****

ادعت سارة أنها تريد النوم بحركات ملحوظة، مرَّة تفرك عينيها ومرَّة تتثاءب، حتى لاحظت والدتها تصرفاتها فقالت لها:

- طيب ياحبيبتي أنا هقوم بقى عشان أبوكي مايقعدش لوحده.

- ليه ياماما ما انتي قاعدة.

- معلش ياحبيبتي هبقى أجيلك يوم تاني. المهم ابقي طمنيني لما جوزك يوصل بالسلامة حتى لو برنة على التليفون وأنا هفهم.

لم تُلح عليها سارة في البقاء وتركتها ترحل في سلام.

وبالفعل رحلت والدتها، وبالطبع هرولت سارة إلى الدولاب لتفتح الأجندة مرَّة ثانية قبل أن يأتي عماد، ولكنها فكرت أن تطمئن عليه أولًا قبل أن تبدأ في القراءة، فمن ناحية لتتأكد فعلًا أنه بخير، ومن ناحية أخرى كانت تريد أن تقدِّر المسافة التي يبعدها عن البيت حتى تعرف متى تقرِّر الانتهاء من القراءة وتضع الأجندة مكانها قبل أن يحضر.

- ألو، أيوة ياعماد.

- اضطربت غادة جدًّا، فهي فعلا قد تأخرت، ولم يخطر ببالها أن تتصل بسارة لتطمئنها.

- أيوة ياسارة ازيك، أنا أسف جدا الراجل اللي تعب طلع أهله في أول الصعيد وهو تقريبًا كان جاي يخلص مصلحه هنا في القاهرة.

فرحت سارة لأنه سيتأخر وقاطعته:

- ولايهمك ياعماد براحتك.

اندهشت غادة جدًّا من رد سارة وقالت:

- انتي اتغديتي؟

- لأ هستناك.

- لأ اتغدي انتي أنا مش عارف جاي إمتى.

- حاضر.

أجابتها سارة دون جدال، وهو مازاد استغراب غادة أكثر، ولكن سعادتها كانت أكثر من استغرابها، فسوف تأخذ وقتها كما قالت لها سارة، وسوف تعرف قِصّة الفتاة وقبل كل هذا وذاك سوف تدخل إلى الست نعمة وتستمع إليها وتراها.

أنهت سارة المكالمة سريعًا واتجهت في أمان إلى الدولاب واستخرجت الأجندة واستلقت على السرير لتستكمل القراءة، ولكنها ظلت تقلِّب الصفحات، فالأجندة كبيرة وهي تريد أن تقرأ من هنا وهناك لتعرف عن غادة كل شيء وسبب طلاقها من عماد الذي رفض أن يذكره رفضًا باتًا.

****

دخلَ مينا الغرفة وقام بالاتصال بمحمد ليعرف أين هو، فكل تحركاتهما معروفة لكليهما مسبقًا وهو الآن لايعلم أين محمد.

- ألو، أنت فين ياض؟

- ازيك يامينا أنا عند الست نعمة.

- يادي الست نعمة اللي لحست دماغك؟ يا ابني قُلتلك فُكك منها. ماله الوضع كدة؟ ما احنا زي الفل أهو.

- طبعًا وأنت يهمك إيه.. ما أنت لا فارق معاك امتحانات ولا نتيجة يافاشل، وغيركده لا فارق معاك صلاة ولا صوم، طبعًا هتضايق ليه؟

ضحك مينا ثم قال له:

- خلاص خليك زيّ وأنت تعيش ملك، المهم أنت جاي إمتى؟

- لما أخلص أنا وغادة.

- أيووووة بقى، قول بقى غادة مزّتك مش تقولي الست نعمة.. مين غادة دي ياض انطق قبل ما أشرحك أنت بتعرف مزز من ورايا؟

- بطل بقى طريقتك الهمجية دي، وبعدين هبقى أحكيلك بعدين.. المهم أمي كويسة؟

- نشكر ربنا، وأنا قاعد مع أمي دلوقتي عشان المكرونة بتاعتها وحشاني.

- طيب يا اخويا يابتاع بطنك.. هو ده اللي أنت فالح فيه.. يلا خلي بالك على نفسك، سلام.

ضحك بصوت عالٍ ثم قال: وهي الدنيا إيه ياصاحبى غير أكل ومزز، ماشي أنت كمان خلي بالك على نفسك، سلام.

"واد يامحمد قرفتك حلوة عملت الصينية ودخلتها الفرن خلاص، دي أسرع صينية مكرونة عملتها في حياتي"

قالت تريزة هذه الجملة وهي تبتسم.

- أيوة بقى ياتريزة ياجميلة انتي، ربنا يخليكي ليا.

****

عصير الكتب

ضربت الأم الرجل المُسنّ على ظهر يديه فصرخ وظلَّ يبكي وسط امتعاض الجالسين، فتوترت من بكائه جدًّا وظلت تُربت على كتفه وتضمه إلى حضنها حتى يهدأ ويتوقف عن البكاء.

كان أغلب الجاسيين مندهشين لتعامل هذه السيدة مع رجل مسن في عمر والدها وقد يكون والدها فعلًا. كانت نظرات بعضهم يملؤها الغضب ونظرات البعض الآخر يملؤها الاحتقار، أما البعض الأخير فكانوا مُشفقين على هذا الرجل المسن الذي يُعامل بهذا السوء من ابنته، إلا غادة؛ فهي من النظرة الأولى فهمت الحقيقة لذلك كانت الوحيدة التي تبتسم. وقلة قليلة من الجالسين الذين فهموا الأمر من أول نظرة ربما لإصابتهم بنفس الشيء.

تجولت بنظرها مرَّة أخرى حول الجالسين، فوجدت ولدًا صغيرًا، توقعت أن يكون في المرحلة الابتدائية، يجلس وحيدًا على "كرسي متحرك" دون مرافق، كان متوترًا جدًّا بالرغم من جلسته الوقورة واتزانه على غير عادة الأطفال في هذا السن، ولكن ما أثار دهشتها ودهشة بعض الموجودين أنه أخرج علبة سجائر من جيبه وأشعل سيجارة وهو يتأفف، وكأنه يريد الدخول سريعًا للست نعمة ويرحل من هذا المكان الذي يشعر فيه بالغربة.

توقعت غادة أن يكون هذا رجلًا كبيرًا ناضجًا، فتصرفاته كلها توحي بذلك، ولكن راودتها أسئلة كثيرة كالعادة.. هل جسد هذا الطفل لوالده؟ ماذا يفعل في عمله؟ هل يذهب الطفل حاملًا روح أبيه إلى عمله بدلًا منه؟ كيف يتصرف في العمل؟ فهي ورغم نضجها إلا أنها في بداية عملها بشركة عماد كانت تخطىء كثيرًا، فماذا لو ذهبَ طفلٌ صغيرٌ بعقلٍ صغير في جسد رجل ناضج إلى العمل؟ أكيد ستكون قمة الكوميديا.

لا لا مؤكد أنه أخذ إجازة من عمله.. فلا يعقل أبدًا أن يحدث هذا، هكذا حدَّثَت نفسها داخليًا.

بعد عشر دقائق فُتح باب غرفة الست نعمة، وخرجت الفتاة القبيحة متجهة سريعًا إلى باب الشقة وهي منفعلة. هرولت إليها غادة بعد أن فتحت باب الشقة وخرجت وجذبتها من ذراعها لكي تقف:

- إيه اللي حصل فهميني.

- بليز.. أنا عايزة أمشي، أنا مابقتش طايقة نفسي خلاص.

- احنا مش اتفقنا هتحكيلي قصتك؟ انتي بتخلفي بوعدك معايا يعني؟

قالتها وكأنها تترجاها بودٍ للتحدث.

تاثرت الفتاة بكلام غادة ثم وقفت وقالت لها: أوكي هحكيلك "كوكلي" وخليني أمشي.

- ماشي.

****

(تزوجتُ عماد أخيرًا يوم الخميس الموافق 2008/1/4، وتركت بيتي وشقيقي وأمي إلى الأبد. كان يومًا رومانسيًا جميلًا.. رقصنا طويلًا في الفرح، ثم اصطحبني بعدها إلى سفح المقطم.. يااااه فكم كنت أعشق هذا المكان.. وهو كان يعلم ذلك.. كنت أراه فقط عبر التلفاز وعشقته من خلاله، بل وكان حُلم حياتي أن أذهب إلى هناك وها هو يحقق لي حُلم حياتي.. رحل المعازيم واحدًا تلو الآخر ورحلت أمي وأخي - سامحهم الله- وكنت سعيدة جدًّا لأول مرَّة بأنني سوف أتخلص منهما وأعيش بدونهما، ومهما حدث لن أعود إليهما مرَّة ثانية إن شاء الله.. رجعنا إلى البيت في هذا اليوم وحملني عماد كما تحمل الأم رضيعها

وأدخلني الشقة وجلس أمامي أرضًا وظلَّ يقبِّل يديّ بنهمٍ وكأنه طفل جائع. كنت خجولة بعض الشيء، فها هو أول رجل يلمسني، بل ويُقبِّل يدي. كنت سعيدة وكدت أطير من الفرحة، فعماد رجل جميل.. أخلاقه عالية جدًّا.. أحبني كثيرًا منذ اللحظة الأولى كما أحببته أنا أيضًا، ورغم خجلي إلا أنه استطاع أن يُزيل هذا الخجل شيئًا فشيئًا بذكائه.. لم يقربني في الليلة الأولى حتى أهدأ تمامًا وأستطيع أن أتجاوب معه دون خجل.. بدلنا ملابسنا وتناولنا العشاء، وضمني إليه بشدة.. كم كان حضنه دافئًا.. ودَدتُ لو لم أخرج من حضنه أبدًا. كنت أحتاج إلى هذا الحضن كثيرًا. كنت أحتاج أن تضمني أمي لصدرها ولو مرَّة واحدة في حياتها أو يربت أخي على كتفي ولو مرَّة واحدة، لكنها لم تحدث ولن...)

توقفت سارة عن القراءة كثيرًا، وظلت تتخيَّل الموقف فيما بينهما، بالرغم من غيرتها الشديدة لما قرأته، فعماد لم يحدث بينها وبينه شيئًا أمس، إلا أنه رغم ذلك كان جريئًا وفجًا بعض الشيء.. كما أنه لم يقبّلها من يديها ولم يجلس أمامها أرضًا، كل ما كان بينهما أمس قبلات وأحضانٌ فقط.. إلا أنها تعجبت جدًّا من كلام غادة وحديثها عن أخيها ووالدتها، فهل يعقل أن يكره شخص أهله لهذه الدرجة؟

تركت هذه الأسئلة وظلت تقلب في صفحات الأجندة.

(أصبحتُ الآن لا أخجل من عماد، بل أصبحت اسبح في حضنه كثيرًا لأتجرع من حنانه الذي لطالما افتقدته، بل لطالما لم أشعر به من قبل.. خرجنا كثيرًا وجعلني أشاهد أماكن لم أشاهدها من قبل.. كان كريمًا معي إلى أبعد حد، يغمرني بالهداية كلما خرجنا.. إنني أحب هذا الرجل جدًّا، بل إنني أعشقه وأريد أن أكرِّس حياتي كلها له، أدعو الله كثيرًا أن يبارك لي فيه...)

زادت استشاطة سارة من الغيرة جدًا لدرجة أن وجهها تحوَّل إلى اللون الأحمر من شِدة الحرارة الصادرة منه، فبالرغم من أنها لم يُنشأ بينها وبين عماد

قِصة حُب، إلا أنه زوجها وملكها الآن وحديث غادة عنها كان يجعلها تجن، فرَّت سريعًا في صفحات الأجندة...

(لقد تأخر حملي كثيرًا، وبدأت في القلق كما بدأ عماد أيضًا، وأشعر أن والدته تسلطه عليَّ كي يتزوج.. لا أعلم لماذا لا أرتاح نفسيًا لهذه السيدة، هي لم تفعل معي أي شيء يسيء لي، ولكني أبغضها، قد يكون لأن عماد ملكها ولها حقوق عليه.. وأنا أصبحت أحبه لدرجة الجنون ولا أطيق أن يكون لأحد غيري.. وما أحزنني كثيرًا اليوم، أنه تحدث إليَّ ولأول مرَّة منذ زواجنا في أمر الإنجاب واقترح عليَّ أن نذهب إلى الطبيب. أشعر أنه بدأ يقلق، ولكن ماذا بعد القلق وماذا لو هناك خطأ مني، هل سيتزوج عليَّ؟ لو تزوج على سأقتل زوجته وأقتله معها، لن يمس واحدة غيري أبدًا، لن أسمح أن تتمتع واحدة أخرى بحضنه غيري...)

هنا فقط.. توقفت سارة عن القراءة وهي مبتسمة ابتسامة ممزوجة بلذة الانتصار، فها هو عماد أصبح مِلكًا لها ولتمتطي غادة أعلى مافي خيلها، بل هي سبق لها الإنجاب أيضًا وستحقق لعماد حُلم حياته في الإنجاب، وستحافظ عليه حتى لا يتركها ويعود لهذه المسماة غادة وستظل في حضنه تستمتع به إلى الأبد.

نهشت الغيرة في قلبها مرَّة أخرى وظلت تقلب في صفحات الإجندة.

****

عصير الكتب

- أنا اسمي«مايا» وعايشة في الزمالك، وعندنا بواب له بنت اسمها زفتة رباب.. اللي أنا جوة جسمها دلوقتي، ومن شهرين صحيت لقيت نفسي في أوضة البواب..

وأخذت تعيد على غادة هذا المشهد الذى حدث منذ شهرين..

- بت يارباب اصحي، الجيران عايزين حاجات من السوق، اصحي يابت بقولك.

- إيه ده أنا فين؟

- هتكوني فين يعني يا أختي، قومي يابت انجري.

- إيه التخاريف اللي أنت بتقولها دي؟ "أريو كريزى " قالتها مايا بتعالٍ وتكبُّر، وأول ما حضر في ذهنها أن البواب قد يكون وضع شيئًا لها في أي مشروب، وفعل بها ماقد يفعله أي رجل في مثل هذا الموقف، ولكنها سرعان ماتذكرت أن عم إبراهيم رجل طيب متدين، وقد ولدت وهو موجود بالعمارة، كما أنها في مثل عمر ابنته تقريبًا، وحتى لو أراد فعل أي شيء بها لن يفعله في غرفته في العمارة وسط أبنائه وزوجته، وخصوصًا أنها عندما التفتت حولها وجدت باقي أبنائه مازالوا نائمين، ولكن بالرغم من كل ذلك.. ظلت في حالة هلع مما يحدث حولها.

- تخاريف إيه يابنت الكلب ياجزمة، والله لأربيكي.

ردَّ عليها عم إبرهيم وهو منفعل جدًّا، وبدأ يقترب منها بالفعل ليضربها. نهضت مايا من على الأرض وصعدت إلى شقتها وهي تهرول، وظلت تدق الباب بشكل هيستيري حتى فتحت لها والدتها.

- ازيك يارباب خير؟

- رباب مين يامامي؟ أنا مايا.. أنا مايا.

- مامي؟؟ مالك يابنت فيكي إيه انتي اتجننتي.

ظلَّت مايا تصرخ ودفعت أمها من أمامها، وهرولت على غرفتها وسط صيحات من والدتها وهي تمنعها عن الدخول، فقد تخيلت والدة مايا أن رباب قد جنت أو تريد سرقة شيء بالمنزل.. تركت مايا والدتها وهي تصرخ وهرولت على غرفتها، فهي أصلًا لا تبالي بأي شيء يحدث في البيت.

مايا ابنة وحيدة ووالدها توفى.. كانت والدتها تُلبي لها كل طلباتها، فهي مُدللة جدًّا وكانت طوال حياتها تشعر بجمالها غير الطبيعي، فبدأت في الغرور رويدًا حتى أصبحت لا تُطاق من غرورها، وأصبح الناس تتفرق من حولها وتنفر منها.. ومن يبقى بجوارها لا يبقى إلا لمصلحة ما.

عندما وقفت أمام المرآة، فوجئت بشكلها الجديد.. شعر أشعث.. وجه قبيح.. بشرة غير صافية ملطخة ببقع ملونة.. جلباب قد يكون نظيفًا، ولكنه ممزق يظهر من تحته جسد نحيف بارز العظام لا يسر الناظرين.

ظلت مايا تصرخ بهستيرية وهي تنظر في المرآة، حتى وجدت من ينام على سريرها.. التفتت لتجد نفسها نائمة في سلام كالملائكة.. سقطت على الأرض في نفس الوقت الذي صعد إليها البواب خلفها ليوسعها ضربًا على اعتبار أنها ابنته.

- ها وإيه اللي حصل؟ كانت غادة تسمع بإنصات شديد جدًّا لما تقوله الفتاة.. كان ينقصها فقط صحن مليء بالفيشار أو المكسرات ليكتمل استمتاعها بالحكاية.

- في الأول مامي ماكنتش مصدقة إن أنا مايا لحد ما قولتلها حاجة محدش في الدنيا يعرفها غيرى أنا وهي، ولما أخدت رباب على جنب وسألتها على الحاجة دي ماعرفتش. شوية شوية ابتدت تصدق وعملنا قاعدة مع بعض وتوصلنا في النهاية إن أنا هفضل مع مامي لأنها رفضت بشدة أنزل تحت عندهم وأنا طبعًا عمري ما كنت هنزل في القرف ده.. ورباب فضلت معانا برضو لأن مامى رفضت جسمي يفضل تحت عندهم.. وعم إبراهيم وافق خصوصًا إن أنا ومامي قاعدين لوحدنا في الشقة ومافيش شباب أو رجالة معانا، ده غير إنهم طبعًا

عصير الكتب

ماصدقوا.. وأنا حياتي اتحولت جحيم، أنا كل يوم بتمنى الموت، ومرة حاولت الانتحار. انهمرت الدموع من عين الفتاة وانهارت تمامًا.

حاولت غادة أن تهدئها وروت لها قِصتها حتى تطمئن الفتاة وتعلم أن هناك من يعاني مثلها تمامًا، بل حكت لها ما رأته بداخل الشقة عن الرجل المسن والولد الصغير وهي تضحك، فتعجبت الفتاة لما سمعته وشاركتها ضحكها.. ثم تبادلا أرقام التليفونات، ورحلت الفتاة على وعد من غادة أن هناك لقاءً قريبًا سيجمعهما.

****

كان سعيد يسير بجوار النيل وهو مختلط المشاعر، فتارة يفكر في مروة وكيف يجذبها إليه ويجعلها تحبه، وتارة أخرى يفكر إذا رفضته كيف سيكون رد فعله، وكيف ستكون مشاعره. كان يشعر أن هذه الفتاة هي الوحيدة المناسبة له بجمالها ودلالها وخجلها، فقد قابل فتيات كثيرات، ولكن من كانت جميلة كانت مغرورة، ومن كانت خجولة كانت قبيحة، ومن كانت ذات دلال كانت صاحبة سمعة سيئة، أما أن تتجمع كل الصفات التي يطلبها في فتاة واحدة فكان بالنسبة له مستحيلًا، وها هو يتحقق المستحيل، فكيف يجعله يتحقق إلى النهاية؟

ظلَّ يفكر كيف يقنعها به ويجعلها تنجذب نحوه.

عاد سعيد إلى البيت وهو في حالة يرثى لها.. فقد تمكن الحب من قلبه، ولأول مرَّة يشعر بمثل هذا الشعور، كما أنه كان يتمنى لو يقف مع مروة قليلًا ليتحدث معها وينظر إلى ملامحها الملائكية، ولكنها خيّبت أماله ورحلت سريعًا. دخلَ غرفته في صمت وظلَّ يفكر في مروة وهو مستلقٍ على فراشه. طرأت على ذهنه فكرة غريبة ظل يطردها كل دقيقة من مخيلته، ولكنها لم تتركه. ماذا لو

اشتكت غادة لمروة من سوء معاملته؟ ماذا لو خافت مروة من أن يعاملها كما يعامل شقيقته؟ انتفض من على سرير وهو مرعوب من هذه الفكرة وذهب إلى غرفة غادة.

****

نادت السيدة المسنّة على رقم (20) فانتفضت غادة عندما سمعت الرقم وهمَّ محمد بالدخول دون أي توتر، فقد قابل الست نعمة من قبل وزالت رهبة اللقاء الأول بالنسبة له.

سيدة في أواخر الخمسينات ترتدى عباءة بيضاء فضفاضة وحجابًا مزركشًا بألوانٍ متداخلة.. وقورة ولها هيبة من الطلّة الأولى، وبالرغم من هذا المظهر إلا أن أنها تحمل ملامح مريحة جدًّا، تجلس خلف مكتب كبير متوسط بغرفة متوسطة المساحة أيضًا، بجوارها مكتبة ضخمة تضم مئات الكتب التي تكدست فوق بعضها، كما توجد كتب كثيرة فوق المكتب.. ربما لم تجد لها مكانًا في المكتبة، وربما هي تطلع عليها هذه الأيام. أشارت لهم بالجلوس وهي تبتسم ابتسامة عذبة صافية.

- ازيك يامحمد؟
- ازيك ياست نعمة انتي لسه فاكراني؟

قالها وهو يبدأ بالجلوس إلا أن غادة ظلت واقفة.

- طبعًا يامحمد أنا مش بنسى أبدًا.. ولله الحمد.

أشارت لغادة بالجلوس وهي تقول لها: اتفضلي اقعدي يابنتي ماتخافيش.

اتسعت حدقتا غادة في اندهاشٍ غريب ولم تستطع أن تطرف بها للحظة..

فكيف علمت أنها أنثى بالرغم من أنها داخل جسد رجل.

ابتسمت الست نعمة وكأنها علمت مايدور بخلد غادة فقالت لها: علَّم الإنسان ما لم يعلم.

جلست غادة وعلامات الاندهاش لم تفارق وجهها.

****

(استقيظت صباح أمس لأجد من يتحدَّث معي بصوتٍ أنثوي وهو يعصب عيني ويسألني من أنا، وعندما أزحت عصابة عيني وجدت من هي تشبهني لدرجة لا تعقل، فلو هناك شقيقتين توأم لن تكونا بمثل هذا الشبه الكبير، ووجدتني داخل جسد رجل. علمت بعد ذلك أنه لعماد بعد أن أفقت من إغماءتي أخبرني عماد بأن هناك تبادل أرواح حدث، بيننا وبعد مرور الصدمة الأولى اتفقنا أن أذهب إلى عمله لحين استرداد روحه مرَّة آخرى، وعلمني كثيرًا عن عمله بالرغم من حدوث خلافات كثيرة بيننا الفترة الماضية بسبب الإنجاب إلا أنني سعدت جدًّا بموضوع تبادل الأرواح هذا، فقد اقتربنا أكثر من خلاله وذكَّرني بأيام زواجنا الأولى التي كدت أن أنساها...)

فركت سارة عينيها أكثر من مرَّة وعاودت قراءة هذا الجزء ثلاث مرَّات، وفي كل مرَّة تجد الكلام حقيقيًا، فهي في بادئ الأمر اعتقدت أنها من كثرة القراءة بدأ تركيزها يقل أو بدأت تقرأ أشياءً غير حقيقية، ولكن كل مرَّة تقرأ فيها تجد الكلام صحيحًا، فبدأت تفر في أوراق الأجندة كالمجنونة لتعرف مدى صحة ما قرأته.

****

"أحلى مكرونة أكلتها في حياتي ياست الكل"

قالها مينا وهو يقبِّل يد تريزة بعد أن فرغ من الأكل.

- ألف هنا ياحبيبي، كان نفسي مينا ياكل معانا.

- ما أنا قُلتلك ياست الكل راح لواحد صاحبه عنده مشكلة.

- طب أنت مارُحتش معاه ليه؟

- أنا ماليش في المشاكل ولا في حلها، أنا بحب الأكل والحريم بس.

ضحكت تريزة وقالت له: اللي يشوفك من كام شهر استحالة يصدق اللي أنت بتقوله ده.

- ياست الكل مافيش حاجة بتدوم ثم استطرد كلامه قائلًا: ولا بالقصب حتى.

ثم ضحك بصوتٍ عالٍ.

- طب بقولك إيه أنا نازلة شوية أقعد مع أمك هتيجي معايا ولا تقعد أنت هنا؟

- لأ أنا قاعد هنا انزلي انتي.. الست اللي تحت دي مش بتقبل الهزاروأنا بحب الفرفشة يا تريزة ياجميلة انتي.

- بس ياواد عيب ماتقولش كده على أمك.. لو عمك جه قوله الأكل في المطبخ وخليه هو يحضّر لنفسه.

****

حضرتك طبعًا أكيد عارفة موضوع تبادل الأرواح ده.

- طبعًا

- طيب إيه السبب؟

- الظلم والعنصرية.

صمتت غادة ثم قالت:

- وإمتى الأرواح ترجع تاني؟

- لما الظلم ينتهي.

- بس أنا ماظلمتش حد.

- الظالم والمظلوم.

- مش فاهمة.

كانت الست نعمة قليلة الكلام وكانت تختصر كل ماتريد قوله في كلمات مقتضبة، فهي كانت تتبع مقولة "خير الكلام ماقلّ ودلّ".

- أرجوكي ياست نعمة، فهميني أكتر.

- الظالم بظلمه والمظلوم بسكوته عن الظلم.

- يعني المفروض نعمل إيه؟

- لا يغير الله مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

نظرت غادة إلى محمد وهي تحاول أن تفهم شيئًا أو يتكلم هو لتفهم أكثر. فهمَ محمد نظرة غادة بالرغم من معرفته القليلة بها ثم بدأ الحديث: طب أنا ياست نعمة لا ظالم ولا ومظلوم ليه بقى حصل لي كده؟

- راجع نفسك تاني يامحمد.

- والله ياست نعمة أنا مش بظلم حد.

نظرت له الست نعمة نظرة لم يفهم معناها وصمتت قليلًا ثم قالت:

- أنت ظالم يامحمد.

- أنا!! ظالم في إيه بس؟!

- راجع علاقتك بكل حد مش على دينك؟

اضطرب محمد واعتدل في جلسته، ثم قال بثقة:

- أنا بحب مينا جدًّا، ده أكتر من أخ، وخصوصًا إنى ماليش إخوات ولاد، وبحب أسرته كلها زي أهلي بالظبط.

لم ترد عليه وظلت تنظر إليه.

زاد اضطرابه أكثر وقال: بس.. أصل...

ابتسمت الست نعمة ابتسامة صغيرة ونظرت إلى غادة.

بدأت غادة تفهم أكثر من خلال حديث الست نعمة مع محمد، وخصوصًا هي تعلم جيّدًا أنها صمتت كثيرًا على ظُلم شقيقها لها، ولم تفعل أي شيء حيال ذلك، ولكن ليس بيديها شيء، فقالت: بس أنا مظلومة ياست نعمة ومش بإيدي حاجة أعملها.

- الساكت عن الحق شيطان أخرس.

تدخَّل محمد في الحديث قائلًا:

- ما هو ربنا كان قادر يعني يخلقنا كلنا مسلمين أو كلنا مسيحين أو لادينين خالص.

وكأنه يريد أن يثبت لنفسه شيئًا، أوربما يبرر أحاسيسه الداخلية.

أجابته الست نعمة:

- احنا مش في الجنة، احنا على أرض الابتلاءات، وأنا ماقُلتش تؤمن بمعتقدات حد مش على دينك.

كانت تنطق كل جملة دون أن تتغير ملامح وجهها مطلقًا، فهي.. لا تغضب.. لا تحزن.. لا تتوتر.. فقط تبتسم ابتسامة صغيرة مع إجابات محددة وصريحة.
- سألتها غادة سريعًا:

- أومال سعيد أخويا ليه ماحصلوش كده ياست نعمة؟ ده أنا حاسة إنه أكبر ظالم في الدنيا.

- مش كل الابتلاءات شبه بعض يابنتي.

- يعني ربنا هيبتليه؟ طب بإيه؟

سألتها غادة والسعادة واضحة على وجهها.

أجابتها الست نعمة: العلم عند الله.

تغيّرَت ملامح غادة بعد إجابتها وقالت:

- طب اشمعنى احنا.. في ناس كتير بتظلم ومش بيحصلها أي حاجة بل بالعكس طول الوقت ظلمهم بيزيد.

- ربك يُمهل ولا يهمل.

- طب ليه الابتلاءات مختلفة؟

- يُبتلى المؤمن على قدر إيمانه.

قالت غادة: يعني لو المظلوم ماقدرش يدافع عن نفسه، ولا الظالم بطّل يظلم هنفضل كده؟

- العلم عند الله.

شعرت غادة أنها لن تعلم أكثر من ذلك، وواضح أن الست نعمة قالت كل مالديها أو ربما كل ماتود قوله فقط.

وفضول غادة لم ولن ينفع هذه المرَّة وخصوصًا مع شخصية مثل شخصية الست نعمة. همت غادة بالوقوف وفعل مثلها محمد، ولكنها قبل أن تخرج التفتت إليها وسألتها: انتي ليه عاملة الفيزيتا رخيصة أوي كده؟ واحدة زيك كانت ممكن تكسب دهب من ورا علمها ده؟

ردَّت الست نعمة بابتسامة بسيطة: أنا مش باخد حاجة، الفلوس دي للست الغلبانة اللي برة، ثم دعت الله قائلة: اللهم استخدمني ولا تستبدلني.

ابتسمت غادة وودعتها وأخبرتها أنها ستأتي كل فترة لتتحدث معها، فقد شعرت براحة كبيرة لمجرد مجالستها.

فالست نعمة كان وجهها يشع روحانية، على عكس ماتخيلت غادة، فكانت تتخيل أنها سترى دجالة تشعل البخور وتقرأ الكف وربما توشوش الودع، ولكن ما رأته من كتب كثيرة في المكتبة وعلى المكتب، وما أخبرها به محمد من أنها

تسافر كثيرًا، جعلها تدرك أن هذه السيدة وهبها الله من العلم مالم يهب به كثيرًا من خلقه. ودعتها أيضًا الست نعمة ودعت لها بصلاح الحال.

****

لم تستوعب سارة ماقرأته، لقد قرأت آخر الصفحات التي كتبتها غادة كلها.. قرأت اتفاقهما على الطلاق بصدر رحب.. قرأت اتفاقهما على زواج غادة بدلًا من عماد.. بل وقرأت علاقتهما الحميمية التي حدث بينهما آخر ليلة قبل الطلاق وقد كتبتها غادة بالتفصيل.. وواضح أنها كتبتها صباح اليوم التالي لتلك الليلة. شعرت بصدمة شديدة، وكأنها تلقت صفعة قوية لتوها. دارت الدنيا بها وشعرت بدوّار شديد وإحساس بالغثيان، وكلما تذكرت ما حدث بينها وبين غادة بالأمس بعد زفافهما يزداد شعورها بالغثيان، لم تستطع أن توقف أنهار الدموع التي سالت على وجنتيها. تمنت أن تكون داخل كابوس وستستيقظ منه الآن.. فكرت في ابنتها، فكرت في زوجها الراحل وترحّمت عليه.. لماذا تزوجت؟ لماذا تركت ابنتها؟ تشابكت الأفكار في رأسها وتصارعت، ودت لو تصرخ ولكنها لم تفعل، حتى الآن لا تصدق ماحدث لها.

****

قام محمد بمرافقة غادة إلى أقرب مكان، ليس لأنها فتاة فهي الآن في جسد رجل ولا يخشى عليها من شيء، ولكن لأنه ارتاح لها كثيرًا وكان يريد تقضية أكبر وقت بصحبتها.

ظلا يتحدثان عما حدث عند الست نعمة وكلامها معهما وماذا سيفعلان. تواعدا على لقاءٍ قريب، وأخبرته غادة أنها تريد لقاء مينا أيضًا، كما أخبرته أنها ستقابل الفتاة القبيحة، يجب أن يتجمعوا جميعهم الأيام المقبلة معًا، فهُم في

نفس الورطة وهُم أصدقاء مشاعر واحدة، يجب أن يفكروا جميعهم ماذا سيفعلون. وافق محمد بعد أن ردَّد مشيئة الله وودعها.

عادت غادة إلى المنزل لتجد ما ينتظرها هناك...

****

جلست عائشة وتريزة في شرفة المنزل بعد أن أعدت عائشة صينية الشاي، وضعتها أمام تريزة وبدأت في تجاذب أطراف الحديث.

- انتي كنتي فين الفترة اللي فاتت دي يا أختي؟

سألتها تريزة بنبرة عتاب.

- يياتريزة مشاغل الحياة، والله والله كل أما أفكر أطلع لك ألاقي مية حاجة شغلتني.

- مصدقاكي ياعيشة الحياة بقت صعبة.. بس صدقيني مافيش أحلى من قعدتنا مع بعض.

- آه والنبي يا تريزة، ده انتي أختي وحبيبتي.

- ألا قوليلي يا عيشة هو محمد ابنك ماله بقاله كام شهر متغير كده؟

- ماله ازاي يعني؟

- أمسك الخشب طبعًا، بس بقى دمه خفيف كده واتجرأ ومابقاش يتكسف زي الأول.

عصير الكتب

- لا يا أختي احسديه احسديه، ده أنا حزينة على اللي حصله، ده كان اسم النبي حارسه وصاينه من الشباب العاقلة الهادية معرفش إيه حصل له.. تخيلي اللي مكانش عمره يدخن أبدًا ولا يطيق ريحة السجاير اكتشف من كام يوم إنه بقى يدخن.

- يالهوي يعني انتي ابنك يبتدي يدخن في نفس الوقت اللي ابني فيه يبطل تدخين؟ هو إيه اللي حصلهم الاتنين وكانهم بدلوا الأدوار مع بعض.

قالتها تريزة بعفوية شديدة.

- مش عارفة ياتريزة يا أختي، ربنا يصلح لهم الأحوال يارب.

- يا يسوع المسيح بصليبك المقدس نجهم من كل أذى.

نظرت لها عائشة وهي ممتعضة من دعوتها ولم تؤمّن وراءها وكأن تريزة لم تقل شيئًا.

****

جلست مايا على السرير وهي تسند رأسها على ركبتها. كانت تبكي بحرقة كلما تذكرت أن رباب تستمتع بجسدها الآن وبنظرات الناس إليها وتتعمد الخروج ليراها الناس وترى نظرة الإعجاب في أعينهم.. بالرغم أنها أخبرتها ألا تخرج أكثر من مرة.

كلما تذكرت وضعها الآن وهي داخل هذا الجسد البغيض وهذا الوجه القبيح واشمئزاز الناس منها في الشارع اختنقت، فأصبحت لاتخرج إلا للضرورة القصوى وأحيانًا ترتدي النقاب إذا لزم الأمر. ظلت تفكر ماذا تفعل، تذكرت ما قالته الست نعمة عندما قابلتها منذ قليل.

- مسيز نعمة، أنا سمعت إنك بتحلّي مشكلة تبادل الأرواح دي.

- الحل من عند الله.. أنا بس بفهمكم السبب مش أكتر.

- طب ليه حصلي كده؟ وامتى الوضع هيرجع تاني؟

- مصائب قوم عند قوم فوائدُ.

- مش فاهمة..

- لأنك ظالمة، والوضع هيرجع تاني لما تبطلي ظلمك وعنصريتك.

- أنا ماظلمتش حد.

- خلاص خليكي في تكبرك وتعاليكي ده. انتي حرة.

- بليز، قوليلي أعمل إيه.

- ارجعي لصاحبة الجسم اللي انتي فيه ده، واتكلمي معاها حسي بيها، شوفيها مضايقة من إيه وزعلانة من إيه وانتي عملتي فيها إيه؟

- أنا أرجع لرباب بنت البواب وأتكلم معاها؟ "امبوسيبل " بصى "نوواي" إني أتكلم معاها، انتي مش عندك حل تاني؟

- شرّفتي يابنتي.

قالتها الست نعمة لتنهي الحوار.

نهضت مايا وهي في قمة عصبيتها، فتحت باب الغرفة وخرجت وهي منفعلة جدًّا، والست نعمة كما هي بنفس تعابير وجهها المحايدة.

تذكرت ماقالته لها الست نعمة، ولكنها مازالت غير مقتنعة.

قطع شرودها دخول رباب عليها محاولة أن تواسيها، فهي كل فترة تحاول أن تقترب منها لمواستها بالرغم أن مايا كانت طوال حياتها ومنذ الطفولة تتكبر على رباب أثناء الصعود والهبوط من العمارة. كانت دائمًا تتعمد أن تشعرها بأنها أحسن وأفضل وأجمل منها، سواء من حيث الشكل أو الوضع الاجتماعي، خصوصًا أنهما متقاربتان في العمر.

أما رباب، فكانت تشعر بغصة في قلبها فهي عاجزة، لاشيء بيديها.. فقد خلقها الله كذلك لحكمة لايعلمها إلا هو، أما عن وضعها الاجتماعي فهو ليس بيديها أيضًا.. تشتري طلبات الجيران كل يوم وتنظف بيوتهم وتمسح السلم، وإذا قابلتها مايا على السلم في هذا الوضع تنظر لها بابتسامة شماتة.

كم مرَّة أهانتها مايا.. كم مرَّة تعالت وتكبرت عليها.. كم مرَّة استعرضت أمامها بجسدها وملابسها الأنيقة.. بل وتتعمد أن تسألها أمام الناس هل الملابس التي أعطتها لها تُريحها أم لا.

كانت رباب كل يوم تنام ودموعها تبلل وسادتها، وها هي الآن ولأول مرَّة في حياتها تشعر بمعنى الحياة الحقيقي، فهي داخل جسد فائق الجمال.. كل دقيقة تُملس على شعرها وهي سعيدة بنعومته.. تنام على سرير جميل في غرفة منفصلة.. نعم هي غرفة الشغالة السابقة، ولكنها أفضل من غرفة والدها بمراحل.. نعم هي تنظف البيت وتساعد والدة مايا في كل شيء، ولكنها تأكل أفضل أكل وترتدي أفضل الملابس، بل وتصطحبها مايا معها إلى الكوافير وترسلها أيضًا إلى النوادي الصحية ليس لسواد عيونها أو حُبًا فيها.. لو الأمر بيديها لفرمتها تحت أرجلها.. ولكن لتحافظ على جمال شعرها وليظل جسدها محتفظًا بليونته ونعومته وجماله حتى إذا استردته وجدته كما هو.

عصير الكتب

ولكنها إلى الآن تعاملها أسوأ معاملة، بل هي الآن تعاملها أسوأ من ذي قبل، وأيضًا كل ماحدث خارج عن إرادة رباب، حتى تبادل الأرواح هذا تعاقبها عليه بالرغم أنه خارج عن إرادتها.

- آنسة مايا، انتي لسه زعلانة منّي؟

منذ أن شبت مايا وهي تأمر رباب بألا تناديها باسمها.. قالت رباب هذه الجملة وهي تعلم الإجابة مسبقًا، فمايا ستنهرها وتطردها خارج الغرفة وستعمد إهانتها وإيلامها نفسيًا.

****

فتحت غادة باب الشقة وقرَّرت أن تتعامل مع سارة بودٍّ ورقّة بعد أن تأخرت كل هذا الوقت في صباحيتها.. فبعد أن قابلت محمد وارتاحت له واعتبرته من اليوم شقيقها الذي لم ولن تلده لها أمها وأيضًا بعد أن ارتاحت في الحديث مع الست نعمة، فها هي بطريقة أو بأخرى قد أعطت لها الأمل من جديد في استرداد جسدها، فقد تخيلت أن الوضع سيبقى هكذا إلى الأبد، ولكن الآن وإن كان الأمل ضعيفًا، لكنه موجود.. وبعد أن قابلت الفتاة القبيحة وتحدثت معها وشعرت أن هناك من يشعر بها. كل هذه المشاعر الجميلة التي شعرت بها اليوم جعلتها تقرّر قراراها هذا حتى لو كانت تتوتر في وجود سارة فسوف تتعامل معها برفق.

أول مافعلته أنها اتجهت إلى غرفة النوم، لتفاجئ سارة بوصولها وتتحدث معها برومانسية لتعوضها عن ضياع هذا اليوم.

فتحت باب الغرفة لتجد سارة تجلس فوق السرير وأنهار الدموع تدفق من عينيها. تعجبت جدًّا واعتقدت أن هذا بسبب تأخرها كل هذا الوقت.

اقتنعت غادة داخليًا بهذا السبب، فسارة معها الحق، أي عروسة في صباحيتها عندما يخرج زوجها في الصباح ليأتي في الليل يجب أن يكون هذا حالها.. هكذا حدثت نفسها داخليًا وخصوصا أنها أنثى وتعرف تلك المشاعر.

تقدمت إليها في خطوات بطيئة وهي لا تعلم ماذا تقول أو ماذا تفعل. التفتت إليها سارة وانتفضت ثم كسا وجهها نظرات حزينة...

****

وقف خلف باب الغرفة مترددًا هل يدخل أم لا؟ في البداية تكبَّر ورفض الدخول، فكيف يدخل لشقيقته ويتودد إليها أو يعاملها معاملة حسنة؟ لو فعل هذا لاعتقدت أنه ضعيف ولن تهابه بعد اليوم، وربما تعاملت معه بندية. رجع خطوات إلى الخلف وهو يتمتم ببعض الكلمات التي تحتوي على سُباب ولعنات لغادة. رأى مروة في خياله وهي تبتسم وتضع يديها على فمها من الخجل وقد ظهرت غمازتان على خديها الورديين.

تشجَّع، فتقدم خطوة للأمام. رآها وقد بدا على وجهها الحزن والخوف معًا، عندما صارحها بحبه وبنيته بالزواج منها وسمعها وهي ترد عليه بخوف أنها تعلم كيف يعامل شقيقته وقد أخبرتها بكل شيء ولن توافق عليه مهما فعل.

في هذه اللحظة لم يشعر إلا وهو يقف أمام غادة وهي مستلقية على فراشها.

- انتي بتعملي إيه؟

توتر عماد جدًّا وانتفض من على فراشه.

- مش بعمل حاجة.

- مممم، طيب انتي مش عايزة حاجة؟

- لأ شكرًا.

- بجد؟ ماتتكسفيش منّي، أنا أخوكي.

ثم ابتسم ابتسامة صفراء عدم وجودها أفضل.

- شكرًا.

- انتي مش متضايقة من قعدة البيت دي؟

استغرب عماد جدًّا من أسلوب سعيد، وردَّ عليه قائلًا:

- ما أنت رافض يا سعيد إني أخرج.

- لو عايزة تخرجي من بكرة ماعنديش مشكلة، المهم ماتتأخريش برة وأبقى عارف انتي فين ومع مين، ويا ريت لو مروة اللي تخرجي معاها أو تروحي عندها لأن شكلها بنت ناس كويسين ومتربية. كل الموضوع إني خايف عليكي، أنا أخوكي ولازم أخاف عليكي. الدنيا مابقاش فيها أمان.

كان يتحدث وكأنه يقرأ مقالة في جريدة، فحديثه كان مفتقدًا للمشاعر والأحاسيس وكأنه مضطرومجبر.

زاد تعجب عماد أكثر، ولكنه بدأ يربط الأحداث ببعض، وتأكد أن هذا التغيير سببه مروة لا محالة. بدأ يفكر كيف ينتهز هذه الفرصة ويستغلها لصالحه هو وغادة. سوف يبدأ في إعداد الخطط ويجب أن يخبر غادة بهذا التغيير.

خرج سعيد من الغرفة وهو يتوعد لغادة عندما ينتهي من موضوع زواجه بمروة.

****

نظرت مايا إلى رباب نظرة طويلة لها معانٍ كبيرة وكثيرة، ولكن رباب لم تفهم النظرة، فاأقتربت منها أكثروسألتها:

- طب انتي اتعشيتي؟

ظلت مايا تنظر إليها.. ربما بحزن.. ربما بغضب.. وربما بكُره. كانت المشاعر مختلطة بداخلها لاتفهم معناها طلبت منها أن تخرج وأن تتركها وحدها، ولكن هذه المرَّة قالتها دون أن تنهرها ودون غضب، قالتها بهدوء "ليت مي ناو"

- نعم يا آنسة مايا؟ أومريني.

- بقولك سبيني دلوقتي عايزة أنام.

خرجت رباب على الفور من الغرفة وهي لا تصدق رد فعل مايا.. لماذا لم تعنفها؟ لماذا لم تغضب؟ هل ستعاملها بهذا الشكل دائمًا؟ لم تفهم ولكنها كانت سعيدة لأنها لم تعاملها بسوء بالرغم من معاملتها السيئة الدائمة، فيجب بل هو إلزامي عليها أن تدخل وتسألها عن صحتها مرَّة وعن حالتها النفسية مرَّة ثانية، وتسألها عن ميعاد تحضير الأكل لها مرَّة ثالثة، فإذا لم تدخل وتسألها جعلت مايا يومها أسود، وإذا دخلت عاملتها بتعالٍ وتكبر، في كل الأحوال رباب غير سعيدة باستثناء وجودها داخل هذا الجسد الذي دعت الله كثيرًا ألا تخرج منه أبدًا.

أطفأت مايا النور واشتعل تفكير الشيطان داخل رأسها بأفكار غريبة.. لو رباب توفت هل سيدفنون جسدها أم أنها ستسترده مرَّة ثانية دون معاناة؟.. لو كانت ستسترد جسدها أين سيذهب جسد رباب؟ لو بوفاة رباب تستطيع أن تسترد جسدها، فهل تقتل رباب لتسترده أم أن الوفاة الطبيعية غير القتل المتعمد؟ والاثنان نفس النتيجة، هل لو قتلت رباب تقتلها بسمٍّ تضعه في الأكل حتى لايظهر شيء من جريمتها؟ أم تقتلها بآلة حادة؟ لو قتلتها سواء بسُمٍّ أو بآلة حادة

هل عندما تسترد الجسد ستموت هي الأخرى لأن المعدة ستكون بها بقايا سم أو الجسد سيكون مازال به ثغرة الآلة الحادة؟ أم أنَّ الجسد سيتغير عندما يدخل روحها فيه مرَّة آخرى؟ لو قتلتها واستردت جسدها فهل ستقبض عليها الشرطة أم أن هذا جسدها والبصمات ستكون لرباب وليست لها؟

أسئلة كثيرة ظلت تحيط بها من جميع الاتجاهات.

****

اتصل محمد بمينا عندما اقترب من العمارة التي يقطنان بها، وأخبره بأن ينزل لكي يتحدثا بعيدًا عن المنزل. بالفعل نزل مينا إليه و روى له محمد كل ماحدث وأخبره بقصة غادة وأنها تريد رؤيته.

- طب هي مزة يعني؟

- يا ابني بقولك في جسم جوزها.

- لأ مش رايح، ماليش أنا في الرجالة.

- ماتهزرش يا مينا بقى، عايزين كلنا نتقابل مع بعض ونشوف هنعمل إيه.

- هنعمل إيه يعني؟ هو لما نتقابل مع بعض المشكلة هتتحل؟

- مينا الله يخليك أنا مش فايق لك، أنت هتيجي معايا غصب عنك.

- إيه هتخطفني وتوديني غصب عنّي ولا إيه؟ يالهوى انتوا عايزين تعملوا فيَّ إيه؟

قال هذه الجملة وكأنه فتاة، قالها بدلع وهو يضحك حتى يستفز محمد، ولكنه في قرارة نفسه لديه الاستعداد أن يفعل أي شيء يطلبه منه فهو يحبه حقًّا.

نظرَله محمد شذرًا، ثم زفر في تأفف واصطحبه من ذراعه لكي يصعدا سويًّا.

سحب يده من تحت ذراع محمد وهو يقول: وكمان بتمسكني من إيدى يامجرم؟ ده أنا هصوت وألم عليك الناس، ثم قال بصوت عالٍ: الحقوني ياناس بيتحرش بيا عايزيعتدي عليَّ.

ظلَّ محمد يلتفت حوله في خجل ثم سابقه في الخطوات وصعد سريعًا على درجات السلم على صوت ضحك مينا الهيستيري.

****

لم تفهم غادة نظرات سارة وبكائها غير المبرَّر..

كما أنها تنظر لها فقط دون أن تتفوه بكلمة واحدة. بدأت تقلق وتضطرب فاعتقدت أن تكون سارة مصابة بمرض نفسي يجعلها هكذا بدون سابق إنذار، وربما تنتابها نوبات حزن دون سبب. أخذت نفسًا عميقًا ثم قالت بهدوء:

- ازيك ياسارة؟ مالك؟

ظلت سارة صامتة لا تنطق بكلمة، قد يكون من تأثير الصدمة عليها وقد يكون لطبيعتها الهادئة فأي إنسانة أخرى في مكانها لكانت قامت وصرخت وانهارت وربما حطمت أثاث البيت كله، ولكنها كانت صامتة باكية.. حزينة.. مقهورة.

- في إيه ياسارة؟

سحبت الأجندة من تحت الوسادة ورفعتها بعد عناء أمام غادة.. فقد خارت قوة يدها وأعصاب جسمها بأكمله تمامًا.

شعرت غادة بصدمة كبيرة تجتاح كل جزء في جسدها، سرت قشعريرة في عروقها.. تجمدت أطرافها..

عصير الكتب

فكرت أن تكذب سريعًا.. فكرت أن تخبرها بأنها رواية تكتبها.. فكرت أن تقول أنها لا تعلم شيئًا عن هذه الأجندة.. فكرت أن تضحك بصوتٍ عالٍ وكأنه مقلب تعمدت أن تفعله بها.. فكرت أن تدعي أن غادة طليقتها هي من فعلت ذلك لتُنغص عليهما حياتهما وتفرق بينهما.. تكالبت الأفكار جميعها في آنٍ واحد داخل رأسها. تمنت لو أن عماد موجودٌ الآن لينجدها مما هي فيه.

- أيوة ياسارة اللي انتي قرأتيه ده حقيقي ودي مذكراتي.

لم تعرف كيف فعلت هذا كيف نطقت هذه الجملة، لكنها نطقتها.

- انتي غادة؟

- أيوة..

- عملتوا فيَّ كده ليه؟ أنا عملتلكم إيه؟

كانت كلماتها تفهم بالكاد من نحيبها وبكائها.. كلمات امتزجت بالألم والحسرة.

- طب اهدي بس واسمعيني.

- أرجوك أو أرجوكي.. أنا حتى مابقتش عارفة بكلم مين، بس عايزة أبقى لوحدي مش عايزة أكلم حد.

- طب أنا هسيبك تهدي خالص وحتى مش هبات في البيت.

صمتت سارة واعتبرت غادة صمتها هذا يعني الموافقة، فخرجت من الشقة وهي لاتعلم أين تذهب.. وماذا ستفعل.

نزلت غادة من العمارة وهي لا تصدق ما حدث. لقد علمت سارة بالسر.. ماذا ستفعل.. أين ستذهب.. ماذا سيحدث الأيام المقبلة؟ أسئلة كثيرة راودتها،

ولكن لم تجد لها إجابات كالعادة.. أول مافكرت به أن تتصل بالفتاة القبيحة، فهي قد أخبرتها أنها تجلس مع والدتها بمفردهما، ولكنها سرعان ما تذكرت أنها في جسد عماد ولا يجوز البيات معهن.

فكرت سريعًا في محمد، أخرجت هاتفها واتصلت به.

- ألو أيوة يامحمد.

- أيوة ياغادة خير في حاجة؟

- سارة عرفت يامحمد.

طلبت من محمد أن تذهب إليه وتبيت معه، وافق على الفور وأخبرها أنه يعيش مع تريزة والدة مينا ومع والده فقط، وذلك سييسر الأمر وهما لن يعترضا. أخذت منه العنوان وأخبرته أنها قادمة إليه.

****

- مين اللي كان معاك على التليفون؟

- دي غادة جاية تبات معايا.

- مزة جاية تبات معاك وهنا في بيتي وعلى سريري؟ ياسافل.. البيت ده طاهر وهيفضل طول عمره طاهر.. بس هي جاية إمتى عشان أقوم أجهزعشاء حلو؟

- غادة دي اللي هي في جسم جوزها، افهم بقى يابني آدم.. نقبك طلع على شونة.

قالها محمد وهو يبتسم.

أجابه مينا حزينًا: يافرحة ماتمت.

طلبَ منه محمد أن يكون مهذبًا معها، فهي مهما كانت أنثى ومتزوجة ولن يقبل طريقته معها أو مضايقتها.. لم يعترض مينا على كلام محمد فهو في الأصل ورغم حبه للنساء، إلا أنه يعلم الأصول ويتحلى بالشهامة.

حضرت غادة بالفعل بعد ساعة من انتهاء المكالمة. استقبلها مينا بحفاوة واحترام، ولم يستطع منع نفسه من بعض المزاح الخفيف.. فالطبع دائمًا يغلب التطبع.. نزل إلى شقة محمد بعد أن جلس معهما قليلًا، وظل محمد وغادة يتحدثان طوال الليل، وروت له ماحدث مع سارة وكيف عرفت الحقيقة وكان محمد منصتًا لها في اهتمام، يحاول أن يطمئنها أنَّ كل شيء سيكون بخير.

- تفتكر الموضوع هيتحل؟

سألته غادة وهي متكئة على الوسادة بظهرها وممدة باقي جسدها الضخم على الفراش.

- أكيد إن شاء الله.. ماتقلقيش.. كان محمد يحاول طمأنتها بالرغم من صعوبة الموقف.. كان متأكدًا داخليًا أن هذا الموضوع لا حل له وربما يتحول إلى فضيحة كبيرة، ولكنه لم يبح بذلك أمامها.

فترة صمت.. كلٌ منهما يفكر في حياته.. وضعه.. مشاكله.. مستقبله إلى أن قطع محمد هذا السكون بحديثه عن كيفية تجمعهم.

- تجمع مين يامحمد؟

- تجمعنا كلنا.. إحنا المبتليين أو المصابيين.

- مش عارفة يا محمد. أنا حاسة إن جالي شلل مؤقت في التفكير.

- طب خلاص يا غادة نامي انتي وبكرة تتحل إن شاء الله.

وكأنها كانت تنتظر هذه الجملة منه.. ربما لم تنتظر حتى يستكملها أصلًا.. حتى سبحت في أحلامها.

عصير الكتب

استيقظت في الصباح لتجد نفسها في بيت أهلها وفي غرفتها.

أصابها الرعب وعُقد لسانها للحظات.. انتفضت من على الفراش وظلت تضرب وجهها بكف يديها علها تكون نائمة وتحلم. بدأ صوتها يخرج بالكاد من حنجرتها وكأنه محشور بين لسان المزمار واللوزتين.. وما إن خرج صوتها حتى دخل سعيد عليها يسبُّ ويلعن.

مجرَّد أن رأته أمامها أصابها الهلع مرَّة أخرى. بدأت تستوعب مايحدث.. لقد استردت جسدها مرَّة أخرى.. ياللمصيبة.. استردت الجسد وهو في أسوأ مكان على وجه الكرة الأرضية.. استردته وهو في بيت أهلها.. ليتها ما استردته.

- مالك في يه؟

- مافيش.

كانت الكلمة تخرج بالكاد، عندما أجابت سعيد:

- هو إيه اللي مافيش؟

- و.. وا.. واضِ احم احم واضح إنه كابوس.

- طب قومي اعمليلي شاي.

- حاضر.

كانت دائمًا تقول كلمة حاضر بمجرد أن تسمع كلمة "اعمليلي" أو قومي" من قبل حتى أن تسمع باقي الطلب.

قامت وقدمها ترتعشان من الخوف.. مرت بردهة الشقة لتجد والدتها ترتدي الأسود.. تندب بصوتٍ عالٍ.. تكاد تبكي دمًا عوضًا عن الدموع.

- مالك ياماما؟

- مالكيش دعوة بيا خالص، وماتقوليش كلمة ماما دي تاني على لسانك.

أجابتها هكذا ثم أكملت ندبها قائلة "آه يا ابني.. ياصغير يا ابني.. يا اللي اتخطفت يا ابني"

سرت قشعريرة بجسد غادة.. قشعريرة خوف وربما سعادة وفرح.. ولكن كيف حدث ذلك وهو مازال واقفًا بغرفتها حتى الآن.. ركضت باتجاه الغرفة لتتأكد بنفسها فلم تجده.. عادت إلى أمها مرَّة أخرى.

- في إيه ياماما؟ مين مات؟

- طبعًا هو انتي حاسة بحاجة؟ امشي من قدامي خالص مش عايزة أشوفك بعد ما قتلتي أخوكي.. لا انتي بنتي ولا أنا أعرفك.. انتي اللي زيك لازم يتعدم في ميدان عام.

انتفضت بعد سماع حديث أمها، وظلت تركض في الشقة.. ماذا يحدث لها؟ أين سعيد؟ أين عماد؟ أين محمد؟

دخلت غرفة سعيد لتجد جثته مازالت راقدة فوق الفراش وقطرات الدم تتساقط على الأرض محدثة بقعة كبيرة تكاد تصل لبحيرة صغيرة من الدم.

اقتربت من جثة شقيقها حتى لمس الدم قدميها.. مدت كفها إلى وجه سعيد لتوقظه أو ربما لتتأكد من موته حتى فاجأها بحركة غير متوقعة.. نهض وجذبها من شعرها كما يفعل دائمًا وقربها جدًا من وجهه.. ظلت تصرخ.. صرخت بكل ما أوتيت من قوة.. صرخت حتى جرح الصراخ حنجرتها.

- في إيه ياغادة؟ اصحي..

كان محمد يحاول إيقاظها، ولكن دون جدوى.. تناول كوبًا من الماء من على (الكومدينو) ليصبّه صبًا على رأسها.

صرخت صرخة كبيرة وهي تنهض من على الفراش.

- سمي الله ياغادة. ده كابوس والعياذ بالله.

التفتت حولها.. تحسست الفراش.. تحسست جسدها.. ولم تنسَ أن تتحسس جسد محمد كنوع من التأكيد الأخير.. أخذت نفسًا عميقًا.. حدقت في سقف الغرفة برعب هائل..

- في إيه يا غادة؟؟ سمي الله..

كان يربت على كتفها وهو يحدثها في محاولة لتهدئتها.

- بسم الله.. بسم الله.. بسم الله..

ظلت ترددها عشرات المرَّات وكأنها نسيتها وتحاول حفظها للتو

- إيه اللي حصل بقى؟ احكيلي؟

روت لمحمد كل ما رأته في الحلم ودموعها تتسابق في السقوط من عينيها.

- اللهم اجعله خير.

كان ذلك هو رد محمد الوحيد على ما روته.. هل استشف شيئًا من هذا الحُلم وخشى أن يخبرها به؟ هل هو مجرَّد كابوس؟.. طلب منها أن تنفث على جانبها الأيمن ثلاث مرَّات وتستلقي على يمينها وتقرأ آية الكرسي وسيجعله الله خيرًا إن شاء الله.

****

اعتدلت في جلستها وضمت ركبتيها بذراعيها ووضعت رأسها على ركبتيها.. دقائق واستلقت بجسدها على الفراش.. دقائق أخرى وبدأت تتقلب على الفراش.. نهضت وجلست مرَّة أخرى وهي تضم ركبتيها بذراعيها.. دقائق ونهضت من الفراش بأكمله.. ظلت تخرج من غرفة لتدخل أخرى.. الأفكار كلها تتكالب على رأسها لم تتوقف عن التفكير منذ أمس.. ماذا تفعل.. هل تترك المنزل وتعود إلى ابنتها وتعتبر أن شيئًا لم يكن؟ هل تظل بالمنزل حتى ولو لعدة شهور، خوفًا من أحاديث الناس التي لاتنتهي؟ هل تنتحر؟

عصير الكتب

ساعات من الحيرة والحزن والغضب كانت تمر عليها كمرور سلحفاة مريضة في طريق وعر.

بل وحدتها وعدم وجود أحد جانبها جعلها تزداد حزنًا.

دخلت الحمَّام وفتحت صنبور المياه.. وقفت أسفله بملابسها كاملة.. قطرات الماء المتساقطة كانت تختلط مع دموعها.. بدأت في التخلي عن ملابسها قطعة قطعة.. حتى انتزعتهم جميعًا.. كانت تمسح أماكن ملامسة غادة لها بقوة، كادت أن تنزع الجلد معه.. شعرت بغثيان عندما تذكرت ما حدث بينهما.. أفرغت كل ما بمعدتها في المرحاض وعادت مرَّة أخرى تحت المياه الغزيرة.. ظلت على وضعها مايقرب من النصف ساعة تقريبًا.

خرجت من الحمام عارية.. بدأت تنفصل عن العالم الخارجي بكل مافيه.. لم تشعر بجسدها وهو عارٍ.. جلست على الأريكة التي تتوسط الردهة وظلت تخبط رأسها من الخلف في الحائط مرات عديدة.. حتى أصيبت بدوار مفاجئ وصداع رهيب.. استلقت رغمًا عنها على الأريكة من شدة الإجهاد الفكري والجسدي معًا.. يبدو أنها كانت تفعل ذلك متعمدة حتى تنام من التعب.. ويبدو أن خطتها نجحت.. فبالرغم من تسرب ضوء الشمس من بين جوانب النافذة إلا أنها بدأت تستسلم للنوم دون أي مقاومة.. فهي لم تنم ولو لدقيقة واحدة منذ أمس.

****

كانت تجلس على كرسي أمام مائدة الطعام تتناول فطورها.. عندما مرت مايا أمامها.. إحساس غريب. تضارب في المشاعر.. تحبها كعينيها ولكنها لاتستطيع أن تضمها إلى صدرها كما تفعل أي أم.. هل لقباحة الجسد الذي انتقلت إليه؟ أم لأنها تعلم أن هذا الجسد ليس ابنتها؟ هل لو كانت مايا انتقلت إلى جسد أجمل كانت الأم ستضمها إليها؟

الأغرب أنها لم تستطع أيضًا ضم رباب بجسد ابنتها، فهي تعلم تمامًا أن الروح الساكنة في هذا الجسد ليست روح ابنتها.. منذ أن انتقلت رباب بجسد

ابنتها للعيش معهم وظلت مايا داخل جسد رباب وهي صامتة.. ترد على بكاء ابنتها بالصمت.. ترد على تودد رباب لهما بالصمت.. ترد على سؤال البواب على ابنته بالصمت.. تتناول أكلها في صمت.. ولكنها لم تمنع صراخها الداخلي أبدًا " أريد ابنتي" الذي كانت تردده طوال الوقت.

دخلت مايا الحمّام واغتسلت دون أن تنظر إلى المرآة. أصبحت المرآة في المنزل جريمة تعاقب عليها هي لا القانون ، وما أدراك ما هي.. لاتنظر إلى المرآة ولا تسمح لرباب بالنظر إليها.

توجهت إلى المطبخ وهي تنظر إلى أمها التي مازالت تتناول فطورها. كانت مايا تبتسم.. أحضرت عصيرًا وشطيرة من المطبخ وجلست في مواجهة والدتها تتناول الفطور في سعادة.. من يوم حادثة تبادل الأرواح وهي لم تبتسم، بل ربما لم تأكل إلا مايحافظ على وجودها حية.

كانت الأم تنظر إليها بحيرة.. ماذا دهاها؟ فيما تفكر ابنتها الحبيبة؟ ما تنوي فعله ابنتها الغالية.. هي أمها وأدرى شخص بها وبتقلباتها المزاجية.

كانت تتناول فطورها ببط.. تمضغ بضمير.. وكأنه آخر فطار لها.

دخلت رباب من باب الشقة وسط دهشة الأم ومايا.

- كنتي فين؟

سألتها مايا بابتسامة.

ارتبكت رباب وقال بصوت مرتعش: كنت عند أبويا.. اخواتي وحشوني نزلت أسلم عليهم قبل ماحد من الجيران يصحى.

- هو أنا مش قُلتلك باب الشقة ده ماتعتبهوش؟

- آسفة يا آنسة مايا والله ماهتتكرر.. سامحيني وحياة حبيبك النبي.

التفتت مايا إلى كوب العصير والشطيرة مرَّة أخرى وظلت تتناولهم وتلوكهم بين ضروسها بنفس البطْء وبنفس الابتسامة.. أما الأم فكادت الحيرة والدهشة أن تقتلاها.. ماذا ستفعل مايا؟

****

استيقظت لا تعلم متى بالتحديد.. ارتدت ملابسها ورحلت.. رحلت سارة إلى الأبد وهي تعلم جيّدًا لماذا فعل الله بها ذلك...

****

ثقلت حمولي يا سيدي المسيح..

أسألك قبولي حتى أستريح

من أعماق قلبي أنا أناديك..

فلك حبي يا ربي أهديك

كانت تريزة تقلب بين القنوات، حتى وجدت هذه الترنيمة على قناة مسيحية فضائية فرفعت صوت التلفاز وتركت "الريموت" من يديها بعد أن خشع قلبها للترانيم.

خرج محمد من المطبخ حاملًا صحنًا به فول وفي اليد الأخرى كان يحمل الخبز.. مرَّبجوار تريزة وهي مغمضة العينين تتمايل في خشوع مع الترانيم.

أجرى إليك ألتجئ يا حبيبي يسوع..

على قدميك أسكب الدموع.
لا أكف لحظة عن البكاء..
أرفع صلاتي في كل مساء.

لم تستطع أن تسيطر على دموعها مع هذه الكلمات.. نظر إليها محمد دون أن تشعر.. مط شفتيه وهو يدعو لها داخليًا بالهداية.

فرغ مينا ومحمد وغادة من طعامهم.. اقترح محمد أن يتصل بباقي المجموعة ليتقابلوا جميعًا ومن ثم يفكرون ماذا سيفعلون في مصيبتهم.

- يا ابني اهمد شوية بقى أنت مابتتعبش.

قالها مينا وهو يرتشف كوب الشاي في شرفة منزل تريزة.

- أنا مش فاهم أنت عايش كده ازاي؟ مافيش حاجة مأثرة فيك خالص؟

أجابه محمد بغضب واضح، حتى أن الأجواء بدأت تتوتر.

بصنعة لطافة امتص مينا غضب محمد قائلًا:

- يامحمد يا أخويا الفرق اللي بيني وبينك إن أنا مش فارقة معايا الجسم فارقة معايا الروح ومش حاسس بمشكلة في وضعي ده.. أنت بتفكر في الجسم بالرغم إنه فاني في كل الأحوال وهتفضل روحك بس في النهاية.. ثم استطرد قائلًا:

- أما أنا بقى فروحي هتبقى مع المسيح الحي اللي مش فارقة معاه جسد وده أفضل شيء ممكن يحصلي.

توترت غادة من هذه الأجواء وشعرت أن حديث مينا، ربما يُغضب محمد أكثر، ولكنها لا تعلم أن هذه عادتهما دائمًا.. الشجار الوقتي للحظات ثم النسيان التام لكل شيء.. وحديث محمد بعد ذلك هو ما أكد هذه العلاقة الجميلة.

- ماشي يامينا.. كلامك جميل بس أنا واحشني حضن أمي.. نفسي أقعد أتكلم مع أختي.. بيتي وحشني يا أخي.

- ما أنت لو بتتعامل عادي من غير العقد بتاعتك دي، كنت حضنت أمك عادي ما أنا بحضنها يا أهبل وببوسها كمان طول عمري.. إيه اللي حصل؟

- عشان احنا دينا له أحكام وثوابت معينة. مش هألف أنا بقى وأمشي بمزاجي.

- هو أنت لما تحضن أمي مثلًا اللي هي تريزة اللي هي قد أمك.. اللي هي مربياك هيحصل إيه؟؟ هتحس بحاجة؟ لو حسيت بحاجة يبقى أنت ابن كلب شاذ.

ثم ضحك ضحكة عالية وهو يتحاشى ضربات محمد الغاضبة على كل أنحاء جسده.

"ياجماعة كفاية بقى، الهزار بيقلب بجد الله يخليكم"

تدخلت غادة بكلماتها لتفض النزاع الذي لم يكن أبدًا يسمى نزاعًا من وجهة نظرهما، بل هو مزاح ليس إلا.

- ماتقلقيش ياغادة هو كده دايمًا بيزعل لما بفكره بحقيقته المُرة ودماغه الوسـ.. قال هذه الكلمة وهو يركض إلى ردهة المنزل لعلمه التام ماذا سيفعل به محمد عند تفوهه بهذه الألفاظ.

أشرق بنورك في فجر جديد.. واغسلني بحبك واجعلني سعيد

يامسيح.. يامسيح...

كان صوت التلفاز يعلو كل برهة من الوقت.. ربما لعدم استمتاع تريزة بالترانيم بسبب صوتهما العالي، وربما لتنشر في الجو روحانية تهدئ النفوس وتجعلهما يصمتان.

اكتفى محمد بنظرة من عينيه يغمز بها لمينا، بأن هناك أنثى تجلس معهما ولا يجب أبدًا التفوه بهذه الألفاظ أمامها. انتبه مينا لنظرة محمد وفهمها فاعتذر لغادة وعاد ليجلس معهما ثانيًا.

- أنا عايزة عماد.

قالتها غادة بصوت يميل إلى صوت بكاء طفل صغير.

تأثر محمد لحديثها وكان متفهمًا جيدًا لما تقول، فسألها:

- هو انتي مش قُلتي إنكِ هتقابلي مروة.. إيه رأيك تكلميها وتقابليها النهارده، فرصة النهارده السبت واجازة.

- عندك حق لازم أخلص من موضوع مروة ده.

- بس انتي كنتي عايزة تقابلي مروة ليه يا غادة؟

- هتعرف يامحمد في وقتها.

****

جلست مروة أمام غادة أو سنقول عماد كما تراه هي.. كانت مرتبكة بعض الشيء، فكل مايحدث حولها كان مثيرًا للجدل، ولكنها ظلت صامتة تنتظر أن يبدأ عماد بالكلام.

- أنا آسف آنسة مروة على المقابلة الانفرادية دي.

- ولا يهمك يا أستاذ عماد.. غادة دي أختي وربنا يعلم بحبها قدّ إيه. قالتها وكأنها تحذره من التفوه بأي شيء يسيء لغادة في وجودها، ولكنها تفاجأت برده.

- وغالية عندي أنا كمان وبموت فيها.. كانت غادة بالطبع تقصد بمشاعره هذه عماد فهي اعتادت أخيرًا على هذه التشابك العجيب لروحهما.

- نعم؟ أومال حضرتك طلقتها واتجوزت عليها ليه؟

- كل حاجة هتعرفيها في وقتها يا مروة. أنا بس طالب منك خدمة.

- اتفضل..

أعطتها ورقة مطوية داخل ظرف محكم الإغلاق وطلبت منها أن تعطيه لغادة في يديها دون أن يشعر أحد.

نظرت له مروة ولم تتجرأ أن تسأله على ما يحويه هذا الخطاب أو المظروف.

أومأت له برأسها بالموافقة وقالت له:

- حضرتك عايز حاجة تانية؟

- أيوة.. هو عما.. إحم إحم.. هي غادة كويسة؟

ابتسمت له مروة ابتسامة رضا، سعيدة بالحب الذي مازال يشعل قلبه وتركته مستأذنة ورحلت.

****

صرخت رباب وظلت تركض في الشقة بسرعة البرق تحاول أن تختبئ في أي مكان بالشقة من مايا التي قبضت على السكين بقبضة من حديد.. تتحرك كآلة ضغطَ أحدهم على زر تشغيلها ونسي أن يضغط على زر التوقيف.. أما والدة مايا ففشلت تمامًا في إفلات السكين من يد ابنتها.. كانت تترجاها بعينٍ باكية.. كادت أن تقبِّل يديها كي تترك السكين.. الآن فقط علمت ما كانت تنويه ابنتها.. فهي تعلم علم اليقين أن ابنتها لن تستسلم للوضع الحالي دون أن تحاول الخروج منه.. ولكنها لم تتخيل أبدًا أن يكون الخروج بهذه الطريقة الوحشية.. فهي بذلك تُعقّد الموضوع أكثر، ولكن مايا لم تفكر ولن تفكر أبدًا.. كل شيء بالنسبة لها سهل ويجب أن ينتهي الآن.. ودائمًا يلبي من حولها رغباتها على الفور.. فكيف تظل كل هذه المدة في هذا الوضع.

- يابنتي ده مش حل والله.. اسمعيني حبيبتي بليز.. لو بتحبي ماما.

- مااامي "ام سوري" ابعدي عنّي خالص "ناو"

- حبيبتي لو البنت دي ماتت انتي هتفضلي في جسمها للأبد.. "بليف مي"

- "او.. ماي.. جاد".. مش عايزة أسمع الكلام ده تاني مام.. أنا ممكن أقتل نفسي لو فضلت في الجسم القذر ده.

- والنبي يا آنسة مايا أنا ماليا دعوة بكل اللي بيحصل ده.. أبوس إيديك تسيبني.

- "شات أب" ياحيوانة.. أنا هعرف أربيكي وأخليكي ازاي تعرفي تسرقي جسم أسيادك.

- والله ماسرقت حاجة يا آنسة مايا..

كانت تتحدث وهي تهرول هنا وهناك في خطوات متبعثرة مشتتة.

****

وقف سعيد في الشارع ينتظر نزول مروة بعد أن تنهي زيارتها لغادة، فقد حضرَ منذ قليل وعلمَ من والدته أن مروة بغرفة غادة وسمع صوت غادة وهي تودعها خلف باب الغرفة فهرول سريعًا إلى الشارع .

دقائق وخرجت مروة من باب العمارة متجهة إلى الشارع العمومى.. حتى وجدت من يناديها. التفتت خلفها لتجد سعيد يبتسم لها ببلاهة وهو يحكّ رأسه.

"إيه بقى؟"

سألها سعيد بلسانه ويده في نفس الوقت.

- إيه إيه؟

أجابته مروة في استغراب وهي تنظر إلى حركة يده العفوية في السؤال.

- لأ أنا بسلم عليكي بس.

- الله يسلمك ياسعيد.. بعد إذنك.

- استني بس انتي رايحة فين؟

- نعم ياسعيد عايز إيه؟

قالتها بصوتٍ جاد ينذر بعاصفة غضب شديدة.

- لأ مافيش.

أجابها وهو يزم شفتيه بعد أن تراجع خطوات للخلف، تلتها العديد من الخطوات اليائسة.

****

- خير ياغادة عملتي إيه؟

- قابلتها الحمد لله.

- لسه مش عايزة تقولي كنتي عايزة إيه منها؟

- أبدًا يا محمد، كتبت لعماد جواب بكل اللي حصل اليومين اللي فاتوا. ماتنساش إننا بنكلم بعض بالعافية.

- طيب انتي إيه رأيك في موضوع تجمعنا كلنا ده؟

- موافقة.

بعد موافقتها، بدأ محمد فعليًا في الاستعداد لهذا التجمع الحافل الذي سيضم كل المُصابين بالابتلاء، وبدأ كعادته بشكل مبالغ فيه يكتب كلمة تحضيرية يقوم بإلقائها.. على اعتبارها أنها ستكون ندوة ثقافية خاصة جدًا .

****

قطعَ جو التوتر والقلق الذي شبَّ في منزل مايا الجرس المنبعث من هاتفها. فنظرت إلى رباب واعدة إياها بأنها ستعود لها بعد المكالمة.

- ألو.

- ازيك يا مايا أنا غادة؟

- غادة مين؟

- انتي نستيني. أنا غادة اللي قابلتك عند الست نعمة.

- أها.. هاي غادة "هاور يو"؟

- الحمد لله كنت بكلمك عشان أظبط معاكي ميعاد.. عايزين كلنا نتجمع.

- نتجمع؟ مين دول؟

- أنا وانتي ومحمد ومينا وعماد جوزي ورباب.

- شِت..

أجابتها بهذا اللفظ النابي الذي تعودت مايا التفوه به دائمًا.. رباب مين دي اللي تيجي معانا؟

- معلش يا مايا عشان خاطري تعالي على نفسك لازم كلنا نتجمع ماينفعش حد فينا مايبقاش موجود.

****

تلصص عماد من خلف الباب خلسة ليتأكد أن الجميع قد خلد إلى النوم. جلس على السرير ومدَّ يده إلى صدره يخرج المظروف، فواضح أنه وجد وظيفة جديدة لهذا الثدي عديم القيمة الآن بالنسبة له.

دقَّ قلبه برشاقة عندما وجد المقدمة كلها غزل وحب من غادة. شعرَ بحنين.. اشتياق.. لهيب يشعل قلبه.. بل هناك شيء ما تحرك بداخله.. شيء يريدها الآن.. شيء يستغيث بداخله.. بدأت روحه تعمل بعد أن توقفت مؤقتًا.. روحه الذكورية هي من تتصدر المشهد الآن.. أغمض عينيه لحظات ليتذكرها.. كيف يتذكرها وهي أمامه كل دقيقة وكل ثانية!!

قام بتصرف غريب، مازال يبتسم كلما تذكره بعدها.. قبَّل كتفه وذراعه وكف يديه قائلًا "وحشتيني ياغادة أوي".

بعد أن خرج من هذه الحالة استكمل باقي الجواب، وعلمَ من خلاله كل ماحدث الفترة السابقة لغادة، وصُدم من عِلم سارة بالأمر. ثم عرف بعدها أن هناك احتمال للتخطيط إلى مقابلة جماعية تضم المصابين جميعًا.

شعرَ بشيءٍ يهتز بجانبه الأيسر فمدَّ يده يتحسسه، ليجد هاتفه يرن ولكن بخاصية الاهتزاز.. كانت غادة.

قام سريعًا إلى الباب يعاود التأكد من خلو الشقة من المستيقظين بالأسحار.

- حبيبة قلبي وروحي، وحشتيني..

واضح أن ماقرأه في الجواب مازال تأثيره واضحًا عليه.

- ازيك ياعماد؟

أجابته غادة وهي تكاد تطير من الفرحة. كانت تعلم أنه قرأ الجواب من ردة فعله.

- قلب عماد، وروح عماد، وعقل عماد، عايز أشوفك بقى.

- هيحصل ياحبيبي، ماتقلقش أنا بكلمك عشان كده.

- خير، احكي.

- لأ مش هينفع أحكي.. بكرة مروة هتجيلك الساعة 5 تاخدك وتنزل، وأنا هعرّفها هتعمل إيه بعد كده.. يلا سلام قبل ما سعيد يدخل عليك.

- غادة !

- نعم يا عماد؟

- كنت عايز أعتذرلك على حاجات كتير، وكنت عايز أكلمك كلام كتير.

- حبيبي هتقول كل حاجة بس مش وقته.

- طب عايز أقولك آخر حاجة قبل ما أقفل.

- قول.

- بحبك.

****

استيقظ عماد وهو يشعر براحة نفسية غريبة؛ فليلة أمس كانت أجمل الليالي بعد مكالمته الرومانسية مع غادة. شعر أن المكالمة ردت له روحه.

روحه؟!

انتفض عماد من الفراش ليجد نفسه في غرفة غريبة أول مرَّة يراها في حياته، ويتقدم نحوه شابٌ لأول مرَّة يراه أيضًا.

- صباح الخير يا غادة.. نمتي كويس؟

- أنت مين؟

- غادة في إيه؟ أنا محمد؟

تذكَّر عماد ما قرأه ليلة أمس في الجواب.. تحسَّس نفسه سريعًا ليجد العضلات تبرز من ذراعيه.. نظر إلى جسده.. لم يتمالك نفسه من الفرحة . نهض من على السرير وظلَّ يقفز لأعلى وهو يردد "جسمي رجع لي.. جسمي رجع لي"

نظرَ إليه محمد في ذهول: انتي بتتكلمي بجد؟ .. أقصد أنت بتتكلم بجد؟ يعني أنت عماد؟

أجابه عماد على الفور بإيماءة من رأسه وقد عُقد لسانه مرَّة أخرى كما حدث معه صباح يوم الحادث المشئوم لتبادل الأرواح.

- ألف مبروك يا أستاذ عماد.. عقبالنا يارب. نطقها محمد من أعماق قلبه.

زالت العقدة من لسان عماد فورًا وهو يؤمن على دعاء محمد.

"اللهم آمين" ثم تقدم إليه بخطوتين وربت على كتفيه في شِبه عناق متباعد الأجساد وهو يقول: شكرًا جدًّا على وقفتك مع غادة.. بجد مش عارف أشكرك ازاي.

- ماتقولش كده يا أستاذ عماد.. الناس لبعضها.. ومايحسش بمصيبة حد إلا اللي مَربيها.

- بلاش أستاذ دي، أنت من النهارده صديق عزيز عليَّ.

****

كانت غادة تلطم وجهها أمام المرآة.. ليس لاسترداد جسدها، وليس لوجودها في بيت أهلها، ولكن في محاولة يائسة لإيقاظ جسدها، فقد ظنت طوال ساعة تقريبًا أنها تحلُم مرَّة أخرى.. وأنها ستستيقظ لتجد محمد يطمئنها مرَّة أخرى ويربت على كتفيها ويقول بعض الأدعية لترددها خلفه.

وعندما تأكدت من خطأ إحساسها، ظلت تنظر إلى جسدها في فرح غريب. كانت تلف بجسدها الضئيل في الغرفة كلعبة "دوخيني ياليمونة "

مرَّ الوقت بطيئًا نسبيًا حتى جاءت مروة لتصطحبها، فقد اتصلت بها غادة أمس عندما كانت في جسد عماد وأخبرتها برغبتها في لقاء غادة.

طبعت غادة قُبلة حارة على خد مروة امتنانًا لما فعلته من أجلها الأيام السابقة.. لكن مروة لم تفهم سبب القُبلة أو ربما اعتقدت أنه شعور طبيعي بالفرح لأنها ستقابل عماد اليوم.

- مروة خايفة سعيد مايوافقش.

- مالكيش دعوة انتي، خلي الموضوع ده عليَّ أنا.

طبعًا كانت مروة تعلم أن سعيد أصبح كالخاتم في إصبعها، فهي أنثى والأنثى أدرى بهذه المشاعر.

بدلت غادة ملابسها سريعًا وخرجت مع مروة التي تفاجأت بوجود والدة غادة بالردهة تجلس كعادتها على كرسيها، في حالة استعداد دائم لبدء نوبات الندب

- رايحة فين يا أختي؟

- هستأذنك ياطنط غادة تيجي معايا نشتري لبس، مش بعرف أشتري لوحدي.

أجابتها مروة دون أن تعطي فرصة لرد غادة وهو ما أسعد غادة كثيرًا.

- قولتي لأخوكي؟

سألتها والدة غادة متجاهلة ما قالته مروة.

- ما اعتقدش ياطنط إن سعيد يرفض حاجة زي دي.

قصدت مروة بإجابتها أن تلفت نظر والدة غادة أنها تتحدث.

خرج سعيد من الغرفة على صوت مروة وهي تتحدث، ليجد هذا المشهد السابق.

- أهو سعيد أهو ياطنط.. سعيد أنت عندك مشكلة إن غادة تيجي معايا نشترى شوية لبس ليا؟

كان صوتها كفيلًا لجعله يوافق على بيات غادة خارج المنزل وليس خروجها معها فحسب.

- لأ معنديش مانع.. أنا ممكن أوصلكم كمان.. أنا فاضي.

أجابها سعيد والفرحة تقفز من عينه.

- إحم إحم.. لا احنا هنتصل بيك لما نخلص عشان تيجي تاخدنا.

أجابته مروة بسرعة وهي تتجه إلى باب المنزل جاذبة وراءها غادة من يديها.

"ياواد ماتنشف كده، إيه الخيبة اللي بقيت فيها دي؟"

صاحت به والدته بعد خروج مروة وغادة من المنزل.

- في إيه يا أمي بس؟

- الست ماتحبش الراجل الخرع.. اجمد شوية كده ووريها العين الحمراء لو عايز تتجوزها.

- صبرك عليا بس يا أمي.. كل حاجة بتيجي في وقتها.

****

أطفأت مايا موتور العربية.. نكزت رباب في ذراعها قائلة:

- انزلي يا زفتة.

- حاضر يا آنسة مايا.

اتجهت مايا بثقة وخلفها رباب وسط نظرات الشباب في الشارع، ونظراتهم تخترق جسد رباب أو لنقُل جسد مايا الأصلي. كانت رباب لا تستطيع إخفاء السعادة، فهي على سجيتها.. أما مايا فكادت أن تفترسها بأسنانها.

"مدّي شوية يا حيوانة."

قالتها مايا متعمدة إهانتها أمام الشباب.

"سبحان الله.. يدي الحلق للي بلا ودان"

قالها أحد الشباب اعترضًا على معاملة مايا لرباب متعجبًا أن تكون هذه خادمة لهذه.

اشتاطت مايا غيظًا، فنكزت رباب في ذراعها مرات متتالية وهي تنهرها على بطئها في السير، حتى وصلا إلى المكان الذي اتفق عليه محمد للاجتماع، فقد كان في أحد الأماكن الثقافية المشهورة بالزمالك، والتي بها عدد لا بأس به من الغُرف التي تصلح لعقد اجتماع سري.

وجدت محمد ومن ظنته غادة منتظرين خارج المكان باقي المجموعة. هرولت على عماد وهي تصافحه بحرارة.

"أهلًا هو أنا اعرفك؟"

قال ذلك لمايا أثناء انشغال محمد بتليفون جانبي.

- شِت.. في إيه ياغادة؟ أنا مايا.

تذكَّر سريعًا عماد هذه الشخصية التي تحدثت عنها غادة أيضًا في جوابها.

- آسف جدًا يا رباب أقصد يا مايا.. أنا عماد مش غادة.

ثم بدأ في إيضاح ما يعنيه وسردَ لها سريعًا ماحدث.

- أوو ماي جاد.. أنت بتتكلم بجد؟ يعني في أمل؟

انقبض قلب رباب خوفًا.. هل ستستعيد جسدها مرة أخرى؟ هل ستعود إلى غرفة أبيها أسفل العمارة كما كانت من قبل؟ هل ستعود إلى الخدمة ومسح السلم وشراء الاحتياجات؟ هل ستفقد لذة معاكاسات الشباب لها ونظراتهم التي تفترس جسدها.. شعرت بغصة في حلقها لم تشعر بها من قبل.

أنهى محمد مكالمته وعاد إليهم. صافح مايا ورباب بإيماءة بسيطة من رأسه مع ابتسامة عريضة.. فهو لا يصافح النساء.. ولكنه أطال في النظرة الأولى قليلًا لمايا كما يحل بعض الملتزمين لأنفسهم؛ فمن يرى مايا لايستطيع أن يبعد نظره عنها، فوضعت رباب نظرها أرضًا خجلًا من نظرة محمد لها.

- إيه أومال فين مينا يامحمد؟

- ماهو اللي كان معايا على التليفون.. كعادته طبعًا مافيش التزام بالمواعيد بس هو جاي خلاص في الطريق.

دقائق ووقف تاكسي أمامهم تهبط منه مروة وغادة.. مجرد أن رأت عماد ركضت نحوه كالطفلة التي رأت والدها بعد سفر طويل.. في نفس الوقت الذي ركض نحوها عماد بنفس السرعة.

شعرت بدفء حضنه وهي بداخله.. شعرت باشتياقه لها كما تشعر هي تجاهه.. شعرت أن هناك سنين طويلة كانت تفصلهما عن بعض.. دقائق وهما في نفس الوضع وسط نظرات بعض المتطفلين من المارة.. وطبعًا وسط دموع

محمد الرومانسي، الذي استغل هذا المشهد ليُفرغ بعض من دموعه المكتومة بداخله.

"واو"

قاطع هذا المشهد كلمة مايا التي خرجت بمشاعر فرح صادقة، وربما مشاعر أمل في غد.

انتبهت غادة لمن حولها، وتحسست وجهها لتمسح شلالات الدموع المتدفقة من عينيها، ولكن يد عماد سبقتها لتجفيف دموعها.

وضعت رأسها على صدره مرَّة أخرى وهو يربت على ظهرها بيد حانية.

"إيه ده؟ واضح إن أنا فاتني مشهد جامد"

جاء صوت مينا من بعيد حيث التفت إليه الجميع.

أجابه محمد في غضب:

- أنت يا ابني مش هتلتزم أبدًا.

- أعمل إيه ياصاحبي البت ماكانتش عايزة تسيبني أمشي.. أنا مش عارف عاجبها إيه في شكلك.. أومال لو شافتني على حقيقتي بقى هتعمل إيه.

****

جلسَ الجميع على الكراسي في شِبه دائرة مغلقة، وقام محمد في منتصف الدائرة وبيديه بعض الأوراق والصليب واضح كالشمس في معصمه الأيمن. بدأ باسم الله وبالصلاة والسلام على رسوله الحبيب، ثم قال:

- ياجماعة أنا جمعتكم النهارده عشان عايز أقول كلمتين.

واضح إن ظُلمنا انتشر أوي، وواضح كمان إن ربنا سايبنا براحتنا بقاله فترة، وربنا بيسيب عبده مرة واتنين وتلاتة ثم وضَّح مقصده .. "أصله يمهل ولا يهمل"

زمَّت مايا شفتيها.. نظر عماد لغادة وأرسل لها قُبلة في الهواء.. نظر مينا إلى سقف الغرفة ليتأكد من لون السقف مطابق للون الجدار أم أن هناك اختلافًا. بلعت رباب ريقها داعية الله في سِرها ألا تسترد جسدها لآخر يوم في عمرها، ولم تنطق طوال الجلسة، بل لم تنطق منذ أن حضرت، اكتفت بالمتابعة فحسب .

- إحنا بنظلم بعض.. أيوة بنظلم بعض، وبنفتري على بعض، واحنا مالناش غير بعض. أنا مثلًا وبالرغم إني بحب مينا صديقي وأخويا بس مش مقتنع بالمسيحية، ومتأكد إن سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام هو خاتم المرسلين.. آه سيدنا عيسى عليه السلام نبي.. بس مجرد نبي مش إله ولا أب.. إيه هضحك عليكم؟ لا مش هضحك عليكم، أنا فعلًا مقتنع بده.. ومش بس كده.. أنا بحس إن المسيحي المفروض يكون مواطن درجة تانية طالما هو ما ارتقاش للدين الإسلامي، بس..!

واضح إن تفكيري كان غلط عشان كده ربنا ابتلاني الابتلاء الشديد ده. واضح إني مش لازم أحكم على حد بدينه.. أنا لازم أتغير.

كان يتكلم بحماس متخيلًا أن روحه ستخرج الآن ترفرف بجناحيها من جسد مينا إلى جسده الحقيقي بمنتهى السلاسة بعد هذه الخطبة التي لم ينصت إليها أحد منهم.. بالرغم من قسوة الحديث الذي قاله عن المسيحيين إلا أن مينا لم يلقِ له بالًا فهو له اعتقاد معين لن يغيّره.. التسامح.. المحبة..

أما غادة وعماد فكانت مشاعرهما تفضحهما طوال الاجتماع.. ودّا لو ينهضا مستأذنين من خطبة الجمعة هذه التي لم تعد تهمهما الآن.

رباب بدأت تنعس ثم تستيقظ سريعًا من غفلتها قبل أن تلمحها مايا، فهي تحاول تجنب غضبها قدر المستطاع.. أما مايا فكانت تدق بكعب حذائها في الأرض ضيقًا.

فهل أتت هنا لتسمع خطبة؟ أم لترى محمد وهو يُهذّب نفسه أمامهم؟ كادت أن تنهض وترحل لولا حديث محمد الذي أبقاها في مكانها..

- يعني مثلًا الآنسة مايا اللي واضح إن الغرور ملأ قلبها. أكيد ربنا سابها مرة واتنين وتلاتة، ماهو ربنا مش بيعاقب عبده ولا بيبتليه من أول مرة .. ماهو مش ذنب رباب أبدًا إن ربنا خلقها كده ولا في المستوى ده، وأكيد ربنا له حكمة من كده. ماخلقهاش عشان يعذبها يعني في الأرض.

اعتدلت رباب في جلستها بعد هذه الجملة، فها هو شخص مُنصف في هذا العالم يشعر بما تعانيه ويتحدث عنه بل ويلوم مايا على أفعالها دون خوف.

أشاحت مايا بوجهها في الاتجاه الآخر تعبيرًا عن عدم رضاها عن الحديث. أما مينا فكاد أن يُطعم الثعبان تُفاحة كبيرة حمراء لولا احتباس الثعبان في إحدى الممرات الضيقة داخل الموبايل.. فأعاد اللعبة من البداية متمنيًا الفوز هذه المرَّة.

- أما بقى عماد وغادة فأكيد عارفين غلطهم فين ويمكن عشان كده ربنا أزال عنهم الابتلاء.. عقبالنا جميعًا اللهم آمين .

انتبه عماد وغادة للحديث بعد ذِكر اسميهما وهو ما أشعل نار الاشتياق بداخلهما أكثر.

- وأكيد الظلم مش جوه الأوضة دي بس.. لأ واضح إن الظلم بقى في كل حاجة برة.

قال هذه الجملة وهو يشير إلى نافذة الغرفة قاصدًا بها العالم الخارجي.. إحنا بقينا وحشين أوي ياجماعة.

- "أيوة بقى"

قالها مينا بعد أن أطعم الثعبان ثلاث تفاحات متتالية، وحصل على ثعبان أضخم بممرات أضيق. نظر إلى محمد وهو يقول: معلش ياباشا أصل بنت الهرمة دي معذباني من الصبح مش عارف أطفحها ولا فاكهة.

نظرَ محمد إليه شذرًا وصمت قليلًا بعد أن قطع مينا حبل أفكاره، ثم عاد ليستكمل حديثه: الدين مش إننا نصلي ونصوم ونروح نحج، ولا إننا ناكل أكل صيامي مافيهوش بيض ولبن..

قالها وهو ينظر إلى مينا الذي وضع الهاتف في جيبه بعد أن لاحظ غضب محمد من لا مبالاته.

"لا لا الدين المعاملة ياجماعة والله.. فعلًا زي ما قال الرسول.. عارفين قال إيه؟"

أصدرت مايا زفرة طويلة من فمها، فقد بدأت تضيق ذرعًا بما يحدث.. هزَّ مينا رأسه بأنه لايعرف، أما عماد فكان يغمز لغادة بعينيه بحركة هي تعرفها جيدًا وتعرف معناها وتعرف متى يفعلها.. إنه يريدها الآن .

نهضت رباب وسط اندهاش الحاضرين وقالت: أنا عارفة حديث عن الرسول سمعته في المسجد اللي كنت بروح فيه قبل موضوع الآنسة مايا ده والشيخ كان بيقول.. بيقول إيه يا بت يارباب.. بيقول إيه يابت يارباب، ثم استطردت قائلة: طب والمصحف كنت حافظاه.

ابتسم لها محمد بودٍّ وقال:

"عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما المفلس قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه و زكاته، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيقعد فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسنات، فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه من الخطايا. أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار.

- أيوة عليه الصلاة والسلام، والله كنت هقوله الله ينور عليك يا أستاذ.

نظرت إليها مايا، فجلست رباب فورًا.

قال محمد: ياجماعة...

وقبل أن يستكمل حواره فوجئ بمن يقطع حديثه..

"ياجماعة والمسيح الحي كل اللي انتوا بتعملوه ده فاكس.. إحنا وصلنا للمرحلة دي عشان احنا بنهتم بالجسد.. إحنا لو بنهتم بالروح زي اهتمامنا أوي بالجسد ماكانش كل ده حصل"

نظر مينا إلى محمد وهو يستكمل حواره: أنت مالك أنا مسيحي ولا ملحد حتى؟ المهم أنا بتعامل معاك ازاي.. بأذيك وألا لأ؟ وليه المسيحين مواطنين درجة تانية؟ ثم تلفظ بكلمة اعتراضية واستكمل حديثه قائلًا: همَّ دول مش بشر زيكم بالظبط ولا دول كائنات تانية غيركم؟

كان مينا يعاتب محمد على حديثه السابق بشكل غير مباشر.

"وانتي سيادتك ياست مايا لما تموتي الدود هيقول ياخراشي الجسم ده حلو أوي خسارة فيه البهدلة؟ طب والله هتتاكلي زيك زى جسم رباب بالظبط.. ثم حوَّل مسار الحديث كعادته: ويارِيتني أبقى دودة في قبرك يامايا ياجميلة انتي.

قالها وهو ينظر إلى رباب متأملًا الشعر الأصفر والعين الملونة والجسد الممشوق وهو يلتهمه التهامًا .

قاطعه محمد محاولًا إرضاءه بعد ما قاله منذ قليل: أنت فعلًا نقي جدًّا يا مينا، وده اللي طول عمري بحسه فيك، وأنت عندك حق إحنا بنهتم بالشكل.. باللون.. بالنوع.. بالدين.. بالجنسية.. وعمرنا ما اهتمينا بأهم حاجة ربنا رزقنا بيها.. الروح !

وكي يُصقل كلامه أرفقه بآية قرآنية كما يفعل دائمًا.

"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا "

نهضت مايا بعد أن استنفدت آخر ماتبقى لها من صبرٍ.. كانت تتخيل أنهم سيخبرونها عن خلطة عشبية تعيد إليها جسدها أو سحر أو أي فكرة جديدة.. أشارت إلى رباب بسباباتها أن تلحقها وهي تتقدم إلى الباب قائلة لهم: مشغولة جدًّا ياجماعة لازم أمشي "ام سوري.. باي"

ردَّ عليها الحاضرون بإشارات وداع بأيديهم، إلا محمد الذي ظهر على ملامحه الضيق الشديد من تصرفها الأحمق الخالي من أي ذوق أو أدب .

ظلَّ لعشر دقائق مسترسلًا في أحاديثه عن العنصرية والظلم والروح والجسد حتى ملَّ عماد.

"طب بقولك إيه ياصاحبي إحنا عايزين نمشي بقى، ونبقى نتقابل تاني إن شاء الله قريب".

فُضَّ الجمع.. حيث عاد مينا ومحمد إلى منزليهما.

أما عماد وغادة.. !

- يلا ياحبيبتي على بيتنا بقى.

- بيتنا ازاي ياعماد وسعيد؟ ده ممكن يقتلني.

- ولا يقدر يلمس شعرة منك طب خليه يقرب لك كده، ده أنا متغاظ منه وبتلكك له.

- اسمع بس ياعماد.. ماتنساش إننا مطلقين.

- وأنا رجّعتك ياغادة.. وبعدين ماتنسيش إن انتي اللي طلقتيني، يعني شرعًا مافيش طلاق حصل.

قالها وهو يضحك ساخرًا.

عادا إلى منزليهما في سلام وعماد يضم غادة إليه باشتياق .

****

عصير الكتب

...بعد شهر..

كان مينا يجلس في ردهة الشركة التي اتصلت به على اعتبار أنه محمد لتحدد معه ميعاد لمقابلة عمل. طلب منه محمد أن يذهب بدلًا منه لأنه لن يستطيع الذهاب بجسده للمقابلة.. وافق مينا على الفور، فها هو مستقبل صديق عمره سيتحدد ولن يخذله في هذا الموقف أبدًا .

بالفعل ذهبَ منذ أسبوع، وها هو الآن يجلس في الشركة منتظرًا نتيجة المقابلة، وهل تمَّ قبوله أم لا.

كان هناك ثلاثة شباب يجلسون بجواره ينتظرون دورهم في النتيجة..

عمرو.. مصطفى.. أحمد.

اقترب عمرو منهم قليلًا حتى لاتسمع السكرتيرة ما سيخبرهم به.

"بقولكم إيه ياجماعة ماتقلقوش الوظايف دي بتاعتنا إحنا الأربعة" كان يقصد نفسه وعمرو صديقه وأحمد قريب والده ومعهم مينا او"محمد".

سأله مصطفى: ازاي ياعمرو، هما طالبين أربع موظفين لأربع وظايف خالية، واحنا ستة مش أربعة وأشار على نفسه وعليهم، ثم أشار بهدوء على بيتر ورامز اللذين وقفا خارج الشركة ينتظران أيضًا.

ردَّ أحمد وهو ينظر إلى عمرو: يا أخي لازم تحرق المفاجأة يعني. ثم تحمس قائلًا: أيوة ياجماعة أنا ليا ناس جوة وعرفت إن الوظايف بتاعتنا احنا الأربعة خلاص، لأنهم مش بيشغلوا مسيحيين.

نظر إليهم مينا وابتسم ابتسامة لم يفهمها أحد سواه.. أو ربما اعتبروها ابتسامة فرح بالوظيفة الجديدة والنتيجة المسبقة.

الآن فقط علم لماذا لم يسترد هو ومحمد جسديهما حتى الآن...

****

رقدت مايا فوق السرير في المستشفى بعد أن أنقذها الطبيب من محاولة انتحار ثالثة، فقد قطعت شريان يديها بقسوة.

يئست مايا من كل مايحدث حولها.. خصوصًا من هذا اليوم الذي قرَّرَت فيه الانتحار، والذي كانت تصعد فيه على سلم العمارة لعُطلٍ فنّي بالمصعد، لتجد الحاجة كريمة تفتح الباب مصادفة أمامها فتطلب منها شراء بعض الاحتياجات لها .

- انتي اتجننتي ياست انتي.. حاجات إيه اللي أشتريهالك.

- تصدقي إنك بنت قليلة الأدب، وأنا هعرف أربيكي ازاي يا رباب، طالما أبوكي مش عارف يربيكي.

أشارت لها مايا بحركة قبيحة بيديها ردًا على تهديدها.. وتركتها وصعدت.

بعدها بساعتين، نزلت مايا في ميعادها لتذهب إلى "الجيم" لتفاجأ برجلين مفتولي العضلات يوسعوها ضربًا ويتركوها في مدخل العمارة ملقاة على الأرض.. وخلال لحظات غِلّ وكره لكل شيء في الحياة حتى لنفسها، تناولت زجاجة مياه غازية كانت ملقاة أرضًا في مدخل العمارة، بعد أن انتهى الابن الأصغر للبواب من تجرعها.

كسرت الزجاجة وجرحت شريانها بما تبقى لها من قوة .

****

جلسَ عماد وغادة في غرفة الضيوف يتابعان التلفاز بحُبٍّ شديدٍ وأجسادهما متلاحمة متلاصقة.

كانا يُشاهدان فيلمًا كوميديًا ويضحكان من قلبيهما، وإذا بشريط أحمر عاجل يمرّكل ثوانٍ أسفل الفيلم ينوّه عن خطابٍ عاجل للسيد الرئيس.. انتظر عماد وغاد بشغف ماسيقوله سيادته.

نصف ساعة وقُطع الفيلم وتابع أغلب المواطنون ماسيقوله الرئيس .. كان ملخص الخطاب هو قرار بتخفيض أسعار الخضروات والفاكهة وأغلب المنتجات بأوامر من سيادته، ومكافأت هنا وهناك ومِنح للطلاب وبعثات مجانية للمتفوقين والمخترعين.

وخلال مشاهدتهما للخطاب رنَّ جرس التليفون!

قامت غادة بحماسٍ شديد بعد ما سمعته من السيد الرئيس.. التقطت التليفون برشاقة من على المنضدة.. !

"ألو، أيوة ياغادة إلحقيني.. تعالي إلحقي أخوكي شوفي حصله إيه"

****

وقفت غادة في ذهول وجوارها عماد في غرفة سعيد وسط نحيب وبكاء والدته، وبجوارها كانت تقف سمر وهند شقيقاته يتأملون وجه سعيد الغريب وتصرفاته الأغرب في إندهاش لايوصف .

كان سعيد يقفز على السرير في شقلبظات ويتصرف تصرفات لا تنطبق إلا على المجانين فاقدي عقولهم.. مرَّة يضحك وآخرى يبكي، وباقي الوقت صامت.. محدّقًا في سقف الغرفة .

لم يعرف سِرّ تصرفاته هذه إلا غادة وعماد...

****

كان هذا الرجل يجلس هنا لثلاث سنوات متتالية.. على هذا الرصيف بملابسه الرثة وجسده المتسخ، يلتقط ما يلقيه الناس على الأرض ليتغذى عليه..

لم يكن مجنونًا.. هو من المثقفين الذين جارت عليهم بلدتهم كثيرًا وظلمتهم، حتى فقدوا الأمل وفقدوا بعضًا من عقولهم.

ولكنه منذ أسبوع تقريبًا.. كان يركض في كل الشوارع بلا توقف لا يقول إلا كلمة واحدة .

يقولها بصراخٍ أحيانًا وببكاءٍ شديد أحيانًا أخرى..

"أنا الرئيييييس..!"

تمَّت

****

عزيزي القارىء..

تقوم عملية القراءة على الوعي بالذات واللغة، ولا يتم ذلك دون ثقافة (قرائية) تحاول أن تساهم دار ليان للنشر فيها، في سبيل التقريب بين المؤلف والقارئ. لذلك لست متلقيًا للإبداع الأدبي والفني فحسب، ولا قارئًا لرموز لغوية ذات أبعاد إنسانية فقط، بل أنت (حلقة الوصل).

حلقة تكتمل من خلال قراءة الإبداع؛ لأن الإبداع-في نظرنا- هو المشاركة الفعلية والسامية بين كاتب يبحث عن الحياة من خلال الأحرف، وقارئ مطّلع ومتعدد الرؤى يهفو إلى فنيَّات اللغة ورسالتها الإنسانية. مع إيماننا بأن الكاتب الجيد هو قارئٌ نهم، والقارئ النهم مشروع كاتب جيد في المستقبل القريب، وهذا دورنا وننتظرك عزيزي القارئ لتحول رؤيتك إلى رؤية بين ضفتي كتاب من إنتاج ليان للنشر والتوزيع.

تنطلق رسالتنا إذًا، من خطوة المشاركة بين طرفي الإبداع وجناحيه: المؤلف وأنت.

ولا تكتمل عزيزي القارىء العمليةالإبداعية والقراءة الصحيحة للإنتاج الفكري-بأبعاده الفنية- دون طيفك كقارىء وأنفاسك كناقد وبحثك عن الإبداع كذوَّاق. ولسنا إلا خطوة الرقي الحضاري الأولى، التي تبحث عن الارتقاء بالإنسان العربي وفكره، وتطوير ملكات المبدع والقارئ عبر تشجيع النصوص الرصينة، ولغتها السليمة الموروثة عن الأجداد والحاملة لأسمى الرسائل الإنسانية.

لنا، وإن فشلنا فعذرنا أننا من أنصار عشق البدايات ودعم أصحاب المواهب الشابة في الخطو نحو النشر في أولى أرهاصتهم الأدبية، ورؤيتنا أن دورنا الرئيسي ينصب على التمهيد المدفعي للكاتب في خطواته الأولى وإقامة العديد من الجسور الصحفية والأدبية والتعريفية بين الكاتب الشاب والوسط الثقافي والقراء ككل.

حلمنا الكبير هو الانتشار الكبير للمواهب الشابة في الأدب المصري والعربي، والباب مفتوح للجميع، وعلى من يرغب في النشر معنا مراسلتنا على النحو التالي:

فتحي المزين: 01282288 056

fathy66666666@yahoo.com

layanpub@yahoo.com ـ layanpub@gmail.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

layanpub@gmail.com

ت:01282288056

6شارع التحرير بالدقي، بجوار محطة مترو البحوث، الدور 19، شقة رقم2002.

عصير
الكتب

عصير الكتب